جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

لغة وأدب عربي

دراسات نقدية

نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:

عائشة بركات

يوم: 28/06/2022

صورة الاستشراق في النقد الشرقي

–نماذج مختارة–

لجنة المناقشة:

نوال بن صالح	أ د	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا
بن دحمان عبد الرزاق	أ د	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
عجيري وهيبة	أ م أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية : 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــــداء ....

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات والصلاة

والسلام على رسوله الكريم

إلى والديّ الكريمين وقرة عيني

وإلى كل عائلتي

مقدمـــــة

تعدُّ الدراسات الاستشراقيّة من بين أكثر المجالات العلميّة التي دار حولها جدل فكري كبير، وتناولتها الأقلام النقديّة على اختلاف جنسياتها وعلى مرّ العصور، والاستشراق يتضمن تلك الفلسفة الكونيّة التي تخصُّ الصراع بين الأنا والآخر، وبين إثبات الذات بإثبات الفرق بينها وبين ذلك الآخر، والذي لا يتعدّى دوره أن يكون مجرّد تابعٍ، أوعلى أحسن تقدير لا بد وأنّه أقلّ شأنا من الأنا، باعتبار الأنا الكاتبة هي الأقوى.

والاستشراق هو دائرة البحث المسؤولة عن دراسة عالم الشرق وديانـاته وحضاراته وكل ما له علاقة أو ارتباط به، والتاريخ يشهد على وجود ذلك الفرق بين العالم الشرقيّ والعالم الغربيّ، ويشهد على توتّر العلاقات بين العالمين الذي يمتدُّ إلى ما قبل الميلاد، كما ويشهد على تلك الأحقاد التي نمت فجأة بعد ظهور الإسلام دينا جديدا، وتطوّرت إلى حروب متتاليّة كان أبرزها الحروب الصليبيّة، والتي باءت بفشل ذريع على كل المستويات، ولحقتها الحروب الاستعماريّة في عصرنا الحديث، والتي فهم أصحابها بأنّ دويَّ المدافع وصوت الرشَّاش لا يعدو أن يكون مجرَّد آلة للترهيب، قد يجعلها تستوطن البلاد وتستغلّ خيراتها، ويجعلها تمتلك شعبًا وتستغلَّ جهده، ولكنَّ الذي يمكّنها من السيطرة على العقول وامتلاك إرادة الشعوب هو التلاعب بمبادئها، والعبث بتاريخها، وهذا لا يحدث إلاّ بحرب فكرية شرسة تطعن في مبادئ الشعوب المستعمَرة والضعيفة وتشكّك في ماتؤمن به، وهذه المهمّة لا يقدر عليها إلاّ الاستشراق، باعتباره غزواً حقيقيًّا من ناحية الفكر لا السلاح، فإنّه لا يخفى على أحد ما تملكه الكلمة من أثر وقوّة.

ويعود سبب اختيارنا للموضوع إلى الرغبة في الإحاطة بقدر المستطاع بالاستشراق وتبيّن الجوانب الفكريّة فيه ومجالات دراساته واهتماماته، والوقوف على آثاره في حلقات الدراسات العلميّة والثقافيّة في العالم، كما نأمل من خلال هذا البحث – بالإضافة إلى أن نستفيد–أن نفيد كذلك، فلعلَّ هذا البحث يحظى بصدى مسموعٍ ولوعلى الصعيد الطلّابي

في جامعتنا، كما ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى التنويه إلى أهميّة البحوث الاستشراقيّة في إثراء المجالات الفكرية وإذكاء الجدالات النقديّة، خاصّة ما تميّز منها بالانصاف والمنهجيّة العلميّة، فلها دور فعَّال في نشر ثقافة الشرق ورسم صورة موضوعيّة عنه، كما يكمن جوهر موضوعنا وأهميّته في الدعوة إلى دراسة الاستشراق ومعالجته من طرف الكتّاب والمفكرين الشرقيّين عمومًا والعرب والمسلمين خصوصًا، وذلك لأنّنا نحن عيّنة البحث الاستشراقي، ونحن الموضوع الذي يبحث ويؤلف فيه، وهنا لا بد وأن يظهر دور باحثينا ونقَّادنا وذلك بمعرفة ودراسة ما يُكتب عنّا وتمحيصه ووضعه تحت مجهر النَّقد وميزان العدالة العلميّة والتاريخيّة، والردّ عن المستشرقين إذا تطلب الأمر، خاصة ما تعلّق بالدين واللغة والتاريخ، كما صار لزاما على الأجيال القادمة خاصّة، أن تفهم الاستشراق بوصفه ظاهرة علميّة لها أبعاد كثيرة. وعلى هذا نطرح الإشكاليات الآتية: هل الاسشراق ظاهرة علميّة بحتة ؟ كيف كانت نظرة الاستشراق للتراث الأدبي العربي؟ ما مدى إنصاف البحوث الاستشراقية للدراسات الإسلاميّة؟ وكيف كان الردُّ الشرقي على طروحات المستشرقين فيما يخصُّ لغتهم وأدبهم وعقيدتهم؟ وكيف تباينت هذه الردود بين غضب في الساحة النقديّة، وبين رفع القبعات تقديرا، والتصفيق للمستشرقين؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات، اعتمدنا في بناء البحث على خطة كانت كالآتي: مدخلا يحتوي على ضبطٍ للمفاهيم وتمَّ فيه التعريف بالاستشراق، والاستغراب، والاستعراب، كما تطرَّقنا إلى ضبط حدود العالم الشرقيّ، والتعريف بالمستشرق ،وتطرّقنا لموضوع جدل نشأة الاستشراق ودوافعه. وتطلَّب البحث تشكيل ثلاثة فصولٍ عُنْوِنَت كالآتي:

الفصل الأول: محور اللغة والأدب العربي.

الفصل الثاني: محور العقيدة الإسلامية – القرآن–.

الفصل الثالث: محور العقيدة الإسلامية – السيرة والسنّة النبويّة–.

وكان اعتمادنا في الدراسة على المنهج التاريخي، إضافة إلى آليات الوصف والتحليل، كما استفدنا من آليات التحليل الثقافي في جزءٍ غيرِ يسيرٍ من البحث،وتمّ جمع مادّة بحثنا من العديد من المصادر والمراجع كان أهمُّها: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل لإسماعيل علي محمد، فلسفة الاستشراق لأحمد سمايلوفتش، تاريخ الدعوة إلى العاميّة وآثارها في مصر لنفوسه زكريا سعيد، المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشكّ والتوثيق ليحي وهيب الجبوري، وكتاب تاريخ القرآن لعبد الصبور شاهين، وكتاب السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي.

وإنّه لا يمكن أن يخلو بحث من بعض الصعوبات، وهذه الصعوبات نفسها هي التي تجعل منه ثمرةَ جهدٍ غالية بعد إقامته، وأمّا ما واجهنا نحن منها فكان أنّ مادة موضوعنا واسعة جدّا، والآراء الاستشراقيّة كثيرة ويصعب ضبطها وإجمالها ، والردود عنها لا تقلّ كثرة و شيوعا، فكانت الصعوبة في حصر الموضوع المدروس والإلمام به وغربلته. وفي الأخير الحمد لله الذي أعاننا على إتمام هذا البحث، ونسأله سبحانه التوفيق فيه .

مدخل

الاستشراق ضبط المفاهيم

1-الاستشراق مفهوم ودلالة

1-1- لغة

1-2- المعنى العلمي للاستشراق

1-2-1- مفهوم الاستشراق عند علماء الغرب

1-2-2- مفهوم الاستشراق عند علماء العرب

2- المستشرق الصفة والوظيفة

3- الاستغراب

3-1- الاستغراب في اللغة

3-2- المعنى العلمي للاستغراب

4- الاستعراب

4-1- لغة

4-2-المعنى العلمي

5- الاستشراق جدل النشأة

6- حدود العالم الشرقي

7- دوافع الاستشراق بين طلب المعرفة والتوظيف السياسي

7-1- الدافع الديني التبشيري

7-2- الدافع التجاريّ

7-3- الدافع الاستعماري

7- 4- الدافع العلمي

الاستشراق مجال علمي له تداخلات مع العديد من العلوم الأخرى، تميّزه تلك الهالة من الغموض حول مفهومه ونشأته ودوافعه أيضا؛ والتي جعلت منه جدلا قائما على مرّ العصور، ومحطّ مدّ وجزر بين النّقاد والدارسين إلى يومنا هذا.

1-الاستشراق مفهوم ودلالة Orientalism

1-1- **لغة:** جاء في لسان العرب في مادة "شرق": << شرق: شرقت الشمس تشرق شروقا وشرقا: طلعت. واسم الموضع المشرِق>>[1]. ومعنى شرّق أي سار ناحية الشرق. ونعني بالشرق :الشمس، و(المشرِق): جهة شروق الشمس والبلاد الإسلامية في شرقيّ الجزيرة العربيّة[2]. والشرق هو النقطة أو الجهة في الأفق التي منها تطلع الشمس[3]، ولأنّ لفظة استشراق لم ترد في المعاجم العربيّة؛ فإنّه تمّ التوصل لمعناها بالاستعانة بقواعد الصّرف وعلم الاشتقاق فلقد اشتقّت من كلمة شرق[4]. وهنا معنى الشرق يبدو واضحا، إذ لا جدال فيه، حيث الشرق هو أحد الجهات الأربعة الأساسيّة في الكرة الأرضيّة.

1-2- المعنى العلمي للاستشراق

ليس من اليسير الوصول لمعنى كلمة استشراق في اصطلاح العلماء، فبين الدارسين من العرب والغرب هناك بعض الاختلافات، والتي قد تجعل منه معنى زئبقيّا.

---

[1]- ابن منظور(محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين) ، لسان العرب، المجلد العاشر، أدب الحوزة، إيران، 1984، د ط، ص 173.

[2]- ينظر، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2008، ص480 .

[3]- ينظر،لويس معلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، دط،2009، ص384.

[4]- ينظر، العيد معروفي، إدوارد سعيد نحو زعزعة الخطاب الاستشراقي،الاستشراق الاستعمار والامبرياليّة دراسات فيما بعد الكولونياليّة، رؤية، القاهرة، مصر، ط1، 2008 ، ص 98.

1-2-1- مفهوم الاستشراق عند علماء الغرب

يعرّف (رودي بارت) الاستشراق بقوله: << الاستشراق علم يختّص بفقه اللغة خاصة . وأقرب شيء إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه، كلمة استشراق مشتقّة من كلمة شرق وكلمة شرق تعني مشرِق الشمس، وعلى هذا الاستشراق هوعلم الشرق>>،[1] أي إنّ "الاستشراق" عند (بارت) هودراسة بلاد الشرق وتحديدا من ناحية اللغة، أمّا (جويدي) فيعرّفه قائلا:<< الاستشراق هوالجمع بين الانقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق وبين الوقوف على القوة الروحيّة والأدبيّة الكبيرة التي أثّرت في تكوين الثقافة الإنسانيّة، وهوأيضا تعاطي الحضارات القديمة أوهوتقدير شأن العوامل المختلفة في تكوين التمدن في القرون الوسطى>>[2].

1-2-2- مفهوم الاستشراق عند علماء العرب

يعرّف (أحمد الزيات) الاستشراق بقوله:<< يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيّين لتاريخ الشرق أممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره >>[3]، أي إنّ "الاستشراق" هوالإحاطة والإلمام بتاريخ الشعوب الشرقيّة وحضاراتها والاطلاع على لغاتها المختلفة وتقاليدها وعاداتها وكل ما يخص أدبها، وهذا البحث يقوم به علماء غربيّون على وجه التحديد.

كما يعرّفه (إدوارد سعيد) بأنّه علم يهتم بدراسة وكتابة وإجراء البحوث في موضوعات تتعلق بالعالم الشرقي، كالأنثروبولوجيا أوعلم الاجتماع أوالأدب والتاريخ، فقه

---

[1]- رودي بارت، الدراسات العربيّة الإسلامية في الجامعات الألمانية، تر، مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، د ط، 2011، ص 17.

[2]- محمد فتح الله الزيّادي، الاستشراق وأهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، دار قتيبة، ط1، 1998، ص 16.

[3]- أحمد حسين الزيّات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط2، د س، ص512.

اللغة، وهومبحث أكاديمي وأسلوبُ تفكير أساسه التميّيز والتفريق وجوديّا، وإثبات هذا الفرق بين الشرق والغرب[1]، فالاستشراق عند (سعيد) مفهوم أعمق من مجرد بحوث علميّة حول عالم الشرق .

2- المستشرق الصفة والوظيفة

وبما أنّه تم التعرف على معنى (الاستشراق)، فلا بد إذن من معرفة من هو المستشرق؟ يقول (مالك بن نبي) << إنّنا نعني بالمستشرقين الكتّاب الغربيّين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلاميّة ثم علينا أن نصنّف أسماءهم في شبه ما يسمى<< طبقات>> على صنفين:

أ_ من حيث الزمن: طبقة القدماء مثل: جربر دورباياك والقديس توماس الأكويني وطبقة المحدثين مثل كاره دوقو وجولد تسيهر.

ب _ من حيث الاتّجاه العام نحوالإسلام والمسلمين لكتاباتهم: فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوّهين لسمعتها>>[2].

لكنّ تعريف (مالك بن نبي) لمعنى المستشرق يبدومختصرا أكثر من اللازم مقارنة بتعريف (لمحمود حمدي زقزوق)، والذي يعرّفه:<< فالمستشرق بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله، أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه

[1]- ينظر، إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية،القاهرة، مصر، ط1، 2006ص 44.

[2]- مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، ط1، 1969، ص 05.

وحضاراته وأديانه. >>[1]، فالاستشراق هوطلب العلم والبحث في حضارات وأديان وتاريخ وآداب الشعوب الشرقيّة، وهذا الباحث الغربيّ بالضرورة والقائم بهذا الفعل يسمّى (مستشرقا) ، وقد كان أول استعمال لهذه الكلمة سنة 1630م حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة اليونانيّة، وفي سنة 1691م وصف (أنتوني وود) (صموئيل كلارك) بأنّه (استشراقيّ) نابِه ، وذلك لأنّه كان متمرّسا في بعض اللغات الشرقيّة[2].

وإنّ مجال الاستشراق ليس بتلك الوجهة السّهلة للباحثين، وإنّما هودائرة بحث واسعة تحتاج لشغف العلم وحبّ الاطّلاع، وتزينّه الأمانة العلميّة وطرح المواضيع بموضوعيّة تامّة، دون تعصّب لدين أولعرق.

3- **الاستغراب**: Occidentalism

وبما أنّ الاستشراق هوبحوث علميّة يقوم بها دارسون من الغرب على الشرق،يمكن طرح السؤال الآتي:هل قام علماء الشرق بردّ فعل علمي نحودراسة الغرب ؟ وهنا يمكننا طرح الموضوع الآتي .

3-1- الاستغراب في اللغة:

جاء في المعجم الوسيط: (غَرَبَتِ) الشمس . غروبا: اختفت في مغربها. و(غَرَب) الرجل بمعنى غاب،و(استغرب) الرجل في الضحك أي بالغ فيه. و(استغرب) الدمع:

[1]- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، مصر،1997، ص 18.

[2]- ينظر، إسماعيل علي محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل ،الكلمة، المنصورة ، مصر، ط3، 2000، ص19.

بمعنى سال[1]، << و(الغَرْب) ضدّ الشرق والغرب: عرق يسيل فلا ينقطع، والغرب من الخيل المتتابع في حضره، قال لبيد: بغربٍ كجذع الهاجريّ المشذّب>>[2].

3-2- المعنى العلمي للاستغراب

يقول (أحمد سمايلوفتش):<< والمؤكّد حتى الآن أنّ كلمة« الاستغراب» مأخوذة من كلمة "غرب" وكلمة غرب تعني أصلا مغرب الشمس، وبناءً على هذا يكون الاستغراب هوعلم الغرب ومن هنا يمكن كذلك تحديد كلمة « المستغرِب» وهوالذي تبحّر من أهل الشرق في إحدى لغات الغرب وآدابها وحضارتها>>[3]، يضيف (حسن حنفي) موضّحًا معنى أوسع وأوضح "للاستغراب":<< الاستغراب هوالوجه الآخر والمقابل والنقيض من « الاستشراق »فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا (الشرق). من خلال الآخر (الغرب) يهدف «علم الاستغراب» إذن إلى فكّ العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر. والجدل بين مركّب النّقص عند الأنا ومركّب العظمة عند الآخر>>[4].

وهكذا يتّضح لنا أن هناك مجالًا فكريًّا قائمًا بذاته يرتكز على مقوّمات علميّة موضوعيّة بالضرورة، يُدرس من طرف علماء ودارسين عرب أوشرقيّين للحضارة الغربيّة وآدابها وفنونها، هوباختصار ردّ فعلٍ علميّ للاستشراق .

---

[1]- ينظر، مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص647.

[2]- أبو الحسن علي بن الهناني، المنجد في اللغة، تحقيق: أحمد مختار عمر ووضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة ، مصر، ط2، 1988 ص 275، 276.

[3]- أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1998، دط، ص37.

[4]- حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية، القاهرة، مصر، دط، 1991،ص29.

4- الاستعراب Arabitalism

إذا كان الاستشراق هو الدراسة التي تعنى بالشرق وثقافته. والاستغراب هودراسة الشرقيّين لحضارة الغربيّين في مختلف المجالات علما وأدبا وفنّا. فما هو الاستعراب ؟

4-1- لغة: جاء في مادة (عرب): (عَرِبَ) عربا: فصح بعد لكنة، ويقال (أعرب) فلان: كان فصيحا في العربية وإن لم يكن من العرب، و(تعرَّب) أي تشبّه بالعرب (استعرب): صار دخيلا في العرب وجعل نفسه منهم. ويمكن أن نلاحظ أنّ المعنى اللغوي لهذه الكلمة قريب من المعنى الاصطلاحي لها[1]، وبقواعد الصرف والاشتقاق يمكن فهم المعنى العلمي لها.

4-2-المعنى العلمي :

هواتّجاه يرمي إلى حركة بحثيّة خاصة باللغة العربيّة حصرا ودراسة العرب وحضارتهم ومجتمعهم، والباحث غير العربي الذي يخوض في هذا الشأن يسمى مستعربًا[2] (Arabitalist) .

والجدير بالذّكر أنّ استعمال الكلمتين أي (الاستعراب) و(المستعرِب) ظهر في القرون الوسطى خاصة في الأندلس، حيث أطلق لقب "المستعرِب" على الباحث المسيحي الذي يهتم بدراسة اللغة العربية دونًا عن غيرها، فيهتم بحياة العرب وحضارتهم وآدابهم وكل ما يخصّهم من لغة وفلسفة ودين[3].

---

[1]- ينظر، مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص 591.

[2]- ينظر، عبد الجبار ناجي، الاستشراق في التاريخ(الإشكاليات – الدوافع- التوجهات- الاهتمامات)الممركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، لبنان، ط1، 2013،ص6.

[3]- ينظر، أحمد سمايلوفتش، مرجع سابق، ص33، 34.

إذا فالاستعراب هوبحث منظّم يقوم به الغربيّ، فيدرس العربيّة ويغوص في أعماق العرب من تاريخ وحضارة ولغة وثقافة وعادات وأديان.

5- الاستشراق جدل النشأة

يعدّ تحديد بداية الاستشراق أكثر النّقاط غموضا وصعوبة فيه لما للباحثين والدارسيين حول هذا من آراء متعدّدة، وأدلة مختلفة، ومسألة التبايّن حول نشأة الاستشراق بين العلماء ليست بالمسألة البسيطة، بل قد تصل لقرن من الزمان أوأكثر وكل منهم يرجّح كفّة الظهور والنشأة في زمنٍ ما.

وهنا نحاول وضع هذه الآراء المتضاربة في قالب مفهوم ومتسلسل عبر الزمن:

إنّ العلاقات بين العالمين الشرقيّ والغربيّ تعود إلى أيّام الكنعانيّين، وكانت علاقات ذات طابع تجاري، وفي القرن السادس قبل الميلاد تحديدا، وحينما طمعت الدولة الفارسيّة في توسيع رقعة دولتها، والتي كانت تمتد من حوض نهر السند إلى آسيا الصغرى، قامت بشنّ الحرب على اليونان، وما لبثت أن نشبت حرب طاحنة بين هاتين الدولتين، والتي انتهت بطرد اليونان للغزاة القادمين من الشرق.[1]

وهكذا ظهرت مرحلة جديدة بخلاف مرحلة التجارة بين هذين العالمين. فبعد الحرب الطاحنة التي دارت بينهما، كان لابدّ على اليونان من التعرّف أكثر على هذه الجهة التي جاء منها الغزاة الفارسيّين، محاولةً معرفة نقاط القوّة والضّعف في هذا العدو، وهنا كان دور المؤرخ اليوناني الشهير(هيرودتس) والذي رحل إلى تلك الأصقاع في العالم ، وتناول في كتابه أرضَ الرافدين ومصر وبلاد الشام وكذا الجزيرة العربيّة وجمع كل ما

[1]- ينظر، ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراق الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الاسلامية، الجزء الأول، المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، ص28.

يخص هذه البلاد وشعوبها وعاداتهم وتجارتهم، والكثير من الحقائق العلميّة التي جمعها في كتابه والذي لا يخلو كذلك من الأساطير والخرافات التي نقلها "أبوالتاريخ" إلى بلاده اليونان[1]، وهذا الرأي القائل بقدم علاقات الشرق والغرب، وبأنّ (هيرودتس) يعتبر أول باحث غربيّ في حضارة الشرق وما يخصّ شعوبها.

وهناك من الباحثين من ذهب إلى الاعتقاد:<< إنّ الاستشراق انطلق من الأندلس في القرن الثامن الميلادي، حيث دخلها المسلمون في عام 711م، واحتكّ سكّان أوروبا من المسيحيّين وغيرهم مع المسلمين، واختلطوا معهم اختلاطا علميّاً وثقافيّا في جامعات المسلمين ومعاهدهم ومدارسهم هناك، وتتلمذوا عليهم، ثم رجعوا إلى بلادهم وأوساطهم متأثّرين بالثقافة الإسلاميّة>>.[2]

وهذا التقارب بين العرب المسلمين الموجودين في إسبانيا (الأندلس) وبين الأوربيّين أدّى إلى تأثّر هؤلاء بثقافة العرب وانبهارهم بهذه الحضارة، لِما رأوا من علوم عظيمة وأمجاد، كما أعجبوا أيّما إعجابٍ باللغة العربيّة وأشعارها، وهذا ما استنكره رجال الدّين خاصّة وخافوا نتائجه << (فكتب بول الفاروس Paul Alvarus) شاكيًا من الجاذبيّة القويّة التي مارستها الثقافة العربيّة على إخوانه المسيحيين الإسبان قائلا: «يحبّ المسيحيون قراءة أشعار قصص العرب، ويدرسون [أعمال.ت] الفقهاء والفلاسفة العرب، لا ليفنّدوها ولكن ليكتبوا بلغة عربية صحيحة وفصيحة، أين الآن العلمانيون [غير رجال الدين.ت] الذين يقرؤون الشروحات اللاتينيّة للكتب المقدسة، أويدرسون الأناجيل وأعمال الرسل والحواريّين؟ وآسفاه! كل الشباب المسيحيّ الموهوب يقرأ الكتب العربية ويدرسها بحماس، إنّهم يجمعون مكتبات ضخمة بتكاليف باهضة، ويزدرون الأدبيات المسيحية

[1]– ينظر، ساسي سالم الحاج، مرجع سابق، ص28.

[2]– شاكر عالم شوق، الاستشراق أخطر تحد للإسلام، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، المجلد الثالث، ديسمبر، 2006، ص66.

فيعتبرونها لا تستحق الاهتمام، لقد نسوا لغتهم فمقابل كل فرد قادر على أن يكتب خطابا باللاتينية إلى صديق، هناك ألف ممّن يستطيعون التعبير عن أنفسهم بفصاحة وكتابة قصائد بهذه اللغة أفضل من العرب أنفسهم >>[1]. هكذا فإنّ المغلوب مولع دوما بتقليد الغالب، يتأثّر به ويتبع خطاه ويرى فعله صحيحا مادام منتصرا، وهذا القول الذي ذكرناه رأى فيه بعض الباحثين على أنه دليل قاطع على بداية الاستشراق في منتصف القرن الثامن الميلادي في الأندلس[2].

لقد تأثّرت أوروبا بعمارة وحضارة بلاد الأندلس التي بناها العرب المسلمون وجعلوها زهرة العالم آنذاك وأقاموا فيها وأثّروا في العالم أجمع، فأصبح حجّاج وطلاب العلم يأتونها من كل حدب وصوب فالشباب الأوروبي الذي كان راغبا في العلم والرقيّ وتقيّده الكنيسة بتعليماتها وتحريم كل ما استجدّ من علوم، رأى في الأندلس ملاذا يحتمي به بعد أن كانت أوروبا تسبح في بحر من الظلمات والفقر والجهل.

أمّا (مصطفى السباعي) فيقول في هذا الشأن << لا يعرف بالضبط من هوأول غربيّ عُني بالدراسات الشرقيّة ولا في أي وقت كان ذلك، ولكنّ المؤكّد أنّ بعض الرهبان الغربيّين قصدوا الأندلس في إبّان عظمتها ومجدها وتثقّفوا في مدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربيّة إلى لغتهم وتتلمذوا على يد علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات، ومن أوائل هؤلاء الرهبان، الراهب الفرنسي

[1]– زكاري لوكمان، تاريخ الاستشراق وسلبياته الصراع على تفسير الشرق، تر،شريف يونس،دار الشروق،القاهرة،مصر،ط1،2007 ، ص71.

[2]– ينظر، إسماعيل علي محمد، مرجع سابق، ص16.

"جربرت Jerbert الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام 999م بعد تعلّمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده >>[1].

وذهب صنف آخر من الباحثين على أنّ بداية الاستشراق ما كانت إلّا في القرن الحادي عشر؛ عصر الحروب الصليبيّة، وذلك بعدما اجتاح الجنود والمتطوّعون من أوروبا العالم الشرقيّ العربيّ المسلم في محاولة لنشر المسيحيّة فيه، فانبهروا بما في الشرق من خيرات وكنوز وعلوم وفن، فبدؤوا محاولة الأخذ من كل شيء والنّهل من كل أنهار المسلمين من ثقافة وحضارة[2].

أمّا المستشرق (رودي بارت) فيرى:<< إنّ بداية الدراسات العربية والإسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر، ففي عام 1143م تمّت ترجمة القرآن لأوّل مرّة إلى اللغة اللاتينيّة بتوجيه من الأب بيتروس فينيرابيلس رئيس دير كلوني، وكان ذلك على أرض إسبانية >>[3].

وهذه المحاولة كما يرى (بارت) كانت بمثابة إشارة انطلاق للحملات الاستشراقيّة حيث أمروا بترجمة القرآن باعتباره الكتاب المقدّس الخاصّ بالدين الجديد الذي ظهر في الشرق، وذلك أملا منهم في محاربته.

أمّا (محمود حمدي زقزوق) فيعتقد أنّه من الصّعب تحديد تاريخ معيّن لبداية الاستشراق، وإن كان بعض الباحثين الغربيّين يشير إلى أنّ البداية الرسميّة كانت مع صدور قرار فيّينا الكنسي عام 1312م بإنشاء كراسي لتعلّم وتعليم اللغة العربيّة في عدد

[1]– مصطفى سباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، دار الورّاق، المكتب الإسلامي، دط، دس، ص17,18.

[2]– توفيق مزاري عبد الصمد، بدايات الاستشراق قراءة في المنطلقات، الدكتور محمد بن شنب والاستشراق، شيكو، المديّة، الجزائر، 2015، ص23.

[3]– رودي بارت، مرجع سابق، ص14.

من الجامعات الأوروبية.[1] ويمكن تلخيص هذه الآراء حول زمن نشأة وظهور الاستشراق، في النقاط الآتية:

– الرأي القائل بأنّ أوّل بداية للاستشراق كانت مع (هيرودتس) في القرن السادس قبل الميلاد.

– رأي آخر يقول بأنّ الاستشراق بدأ بعد فتح الأندلس سنة 711م، وبداية البعثات من الرهبان في منتصف القرن الثامن.

– هناك من يرى بأنّ الاستشراق بدأ في القرن العاشر.

– ومن الباحثين من يرجّح أنّ الاستشراق ظهر مع الحملات الصليبيّة في القرن الحادي عشر.

– وقول آخر بأنّ الاستشراق بدأ في القرن الثاني عشر، والذي تمّت فيه أول ترجمة للقرآن للغة اللاتينيّة وظهور أول قاموس لاتيني عربي.

– والرأي القائل بأنّ البداية كانت في القرن الرابع عشر عند صدور قرار فيّينا الكنسي بإقامة كراسي في الجامعات الأوروبيّة .

6– حدود العالم الشرقي:

يعود معنى كلمة (الشرق) إلى جهة مشرِق الشمس كما تبيّن، ومن الناحية اللغويّة فإنّ هذا المفهوم لا جدال فيه، لكن عند محاولة ربط هذه الكلمة (الشرق) بالمجال الفكري المسمّى (الاستشراق) فإنّنا نجد صعوبة بالغة في التحديد الواضح الذي لا لُبس فيه. فالشرق الذي تعنى به الدراسات الاستشراقية هوخاضع بطبيعة الحال لبعض المقاييس

[1]– ينظر، محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص25.

التي تحدّده<< فالشرق يختلف بالنسبة لليابابي أوالعربي أوالألماني أوالإنجليزي أوالأمريكي، والشرق يختلف بالنسبة لأهالي العصور القديمة والوسطى أوللبشر في تاريخنا الحديث والمعاصر، خاصّة بعد اكتشاف الأمريكيتين>>.[1]

فالأمر يتغيّر من زمن لآخر، ومن منطقة إلى أخرى، فمثلا في عالمنا العربي هناك بلاد المشرِق ونقصد بها مصر وبلاد الشام والجزيرة العربيّة، وهناك بلاد المغرِب العربي والتي تتكون من بلاد شمال أفريقيا كالجزائر وتونس والمغرب.. فهل إذا قلنا إنّ الاستشراق يُعنى ببلاد المشرق نقصد مصر والجزيرة العربية ونقصي الجزائر وباقي بلدان قارّتي آسيا وأفريقيا ؟

وبالنسبة لبلاد الأندلس التي قامت في إسبانيا فقد كانت دولة إسلامية عربية، فهل تنتمي إلى حضارة الشرق أم تصنّف من دول الحضارة الغربيّة؟، هذه الحضارة التي كانت تطلق على مجموعة من المدن والدول وبعض الجزر، والتي تتكون من أثينا وإسبرطة وكرنثة وطيبة وغيرها من المناطق التي يطلق عليها الآن مجتمعة " اليونان"، وبعض المستوطنات اليونانيّة في أسيا الصغرى (بلاد الأناضول حاليّا) وجنوبا وشرقا إلى جزر البحر الإيجي والبحر المتوسط، وشمالا إلى جنوب شرق أوروبا وعلى طول سواحل البحر الأدرياني والأسود، ومن الغرب مستوطنات اليونان في إيطاليا وجنوب فرنسا حاليا.

وبعد مرور عدد من القرون صار الأوربيّون يعتبرون اليونان القديمة خاصة أثينا في عصرها الذهبي حوالي(500_400 ق.م) بكل مرتكزاتها من فكرٍ وثقافة هي الحضارة الغربيّة[2]، ووصولا إلى القرون الوسطى فمعروف أنّ البحر الأبيض المتوسط كان مركز

[1]– علي حسني الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،دط،1988 ،ص 12.

[2]– ينظر، زكاري لوكمان، مرجع سابق، ص46.

حياة العالم آنذاك، وعلى حَسَبِه تمّ تحديد مفهوم كل من(الشرق)و(الغرب)، ولكن بعد اتّساع العالم وظهور حضارات أخرى كبرى في القارّتين الأمريكيّتين صار لمفهوم الشرق معنى وبعدا آخرا بعد هذه النقلة الجغرافيّة والتاريخيّة والحضاريّة في العالم.[1]

كما أنّه ليس الشرق بالنسبة لأوروباهو الشرق بالنسبة لأمريكا، وهنا يقول (إدوارد سعيد) : <<أمّا الأمريكيّون فلن يخامرهم ذلك الإحساس نفسه إزاء الشرق، بل الأرجح أن يرتبط الشرق في أذهانهم بصور بالغة الاختلاف، أي بصور المشرق الأقصى(وخصوصا صور الصين واليابان)>>[2]. وربما يعود هذا إلى معنى جغرافيّ بحت، بحيث تقع الصين واليابان في أقصى الشرق من الكرة الأرضيّة، وتقع أمريكا في أقصى الغرب الجغرافي لها، إضافة إلى وجود تلك المنافسة الاقتصاديّة والتاريخيّة بين هذه الدول وأمريكا خاصة منذ الحربيين العالميتين، فبقيت تلك الذكرى التي تصرّ على وجود ذلك الاختلاف بين قطبي الكرة الأرضيّة الشرقيّ والغربيّ.

يضيف (رودي بارت) : << الظاهر أنّ اسم الشرق تعرّض لتغيير في معناه، فالشرق بالقياس إلينا نحن الألمان، يعني العالم السلافي، العالم الواقع خلف الستار الحديدي، وهذه المنطقة تختص بها علميّا بحوث شرق أوروبا Osteuropaforschung،أمّا الشرق الذي يختص به الاستشراق فمكانه جغرافيا في الناحية الجنوبية الشرقيّة بالقياس إلينا >>[3].

وبعد كل هذه الآراء، هل يمكن الجزم بأن مفهوم الشرق هوفقط مفهوم جغرافي؟ أم أنّ له مميّزات أخرى تتحكّم في حدوده؟.

---

[1]– ينظر، علي حسني الخربوطلي،مرجع سابق، ص12.

[2]– إدوارد سعيد، مرجع سابق، ص43.

[3]– رودي بارت، مرجع سابق، ص17.

بعض المفكّرين أمثال (مونتسكيو) يرى في كتابه (روح القوانين) أنّ البيئة والجغرافيا الموحّدة لها تأثيرها الكبير في حياة الأمم وطبائعها، لكن (علي حسني الخربوطلي) يرى بأنّه قد فاته بأنّ البيئة تعطي الإمكانيات المتعددة، ولكنها لا تملك قدرة تحتيم هذا على الشعوب ككل.[1]

هناك أمور لا جدال فيها فيما يخص هذا الشرق، أوهذه البلاد التي خصّها الاستشراق بالدراسة والتمحيص، فالمستشرقون موطنهم أوروبا (وبعد ظهور أمريكا، دخل الباحثون الأمريكيون المختصون بدراسة الشرق إلى حلقة البحث الاستشراقي فكانوا هم كذلك مستشرقين).

فكل هؤلاء يحاولون دراسة بيئة لها جاذبيتها، بيئة شاسعة، قد تختلف باختلاف الشعوب، لكن لها تلك المقوّمات التي وجّهت لها الأنظار من وراء البحار ومن وراء المحيطات، هذه البلاد كانت قلب العالم كلّه (العالم القديم)، وكانت مهد الحضارات القديمة،كالحضارة المصريّة والبابليّة، الفينيقيّة، والفارسيةّ كذلك، وعلى هذه البلاد نزلت جميع الأديان السماويّة[2]، كل هذه الأمور التي اشتركت فيها هذه الأمة الشرقيّة، جعلت منها مناطق جذب للبحوث والاستغلال وغيرها.

وبرأي (الخربوطلي) :<< إنّ وحدة التاريخ، أوالوحدة النسبيّة تولّد تقاربًا في العواطف والنزعات، وتماثلا في الأفكار والتقاليد والعادات، والذكرياتُ التاريخيّة تقرّب النفوس والأفكار، وتكوّن بينها نوعا من القرابة المعنويّة، وأنّ هذه الوحدة التاريخيّة النسبيّة بين أبناء الشرق هي التي أعطتهم لونًا وطابعًا حضاريًّا واحدًا>>.[3]

---

[1]– ينظر، علي حسني الخربوطلي، ، مرجع سابق، ص12، ص13.

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص13.

[3]– المرجع نفسه، ص 18.

فالتاريخ الإنساني والحضارات المقامة على أرض ما، له القدرة على توحيد الشعوب والأمم وإعطائها طابعا خاصا يميّزها، ويولّد بين تلك الشعوب روابط خفيّة، تسمهم تقريبا بنفس السمة، كما وأنّه بعد الفتوحات الإسلامية، وتبنّي الكثير من البلاد المفتوحة للغة العربيّة، فإنّه كان لهذا الأمر دورا كبيرا في مزج الحضارات، فامتّدت الحضارة العربيّة والإسلاميةّ من وسط آسيا وشمال الهند وغرب وجنوب آسيا والشمال الإفريقي، وجنوب غرب أوروبا وجميع جزر المتوسط، فكانت ولادة حضارة عالميّة[1].

ويحسم(محمد حسن زماني) هذا القول بتحديدٍ دقيق يرمي لكشف مناطق الشرق وحصرها: إنّ أضيق حدود للاستشراق والتي وردت في معجم (أكسفورد) تقول بأن الشرق الأقصى أي الصين واليابان هي هدف الاستشراق، أمّا أوسع الحدود عند الغربيّين فهي التي تمثل كلّ دول الشرق وآسيا والشرق الأوسط والأقصى والشرق الأدنى، وهي التي تقع في شرق أوروبا والبحر المتوسط، سواء كانت دولا إسلاميّة أوغير إسلاميّة،وأمّا أحدث الحدود فهي الحدود الجغرافيّة الدينيّة، ظهرت مع بوادر الأهداف التبشيريّة ومحاربة الإسلام، فكان محّل الحدود الجغرافيّة حدود دينيّة[2].

وهذا الذي كان مع بلاد الأندلس والتي تنتمي جغرافيّا لأوروبا ولكنها حضاريّا ودينيّا بلاد شرقيّة وبالتالي فإنّه يمكن القول بأنّ تأثيرات تاريخيّة وجغرافيّة ودينيّة على مرّ العصور قد ساهمت في بناء حضارة واحدة، تحت مسمى"الشرق".

[1]– ينظر،علي حسني الخربوطلي،مرجع سابق، ص19، 20.

[2]– ينظر، محمد زماني، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، تر: محمد نور الدين عبد المنعم، المركز القومي للترجمة، للقاهرة، مصر، ط1، 2010، ص42، 43.

7- دوافع الاستشراق بين طلب المعرفة والتوظيف السياسي

إنّ هذا الاهتمام الكبير لبعض الباحثين الغربيّين بالشرق، العديدِ في دراساته، العريق في جذوره ، لابدّ وأنّ له دوافعا وأسبابا عدةً تغذّيه، فالمستشرق يترك بلده وأهله ويهاجر لبلاد بعيدة غريبة عليه في كلّ شيء، فيغترب فيها لسنوات وربما لعقود، وقد يشيخ وهولم يكمل أبحاثه عنها بعد ، فماهي ياترى هذه الأسباب التي تدفعه لهذا؟

7-1- الدافع الديني التبشيري

يعدّ هذا الدافع أول وأهمّ الدوافع التي ساهمت في ظهور الاستشراق، كان تحت راية الكنيسة ؛ بحيث << انطلقت الحركة الاستشراقيّة من بيئة دينيّة وعصر اصطبغ بالصبغة المسيحية في مدّها وجزرها مع الإسلام متأثّرة بما تركته الفتوحات الإسلاميّة الأولى ثم الحروب الصليبيّة، فكان المنطلق الأساسي هومحاربة الإسلام وإضعافه >>[1].

كما يقرُّ المستشرق (يوهان فوك) بأنّ فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي وراء قيام الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربيّة للغة اللاتينيّة، فبعدما بدا واضحا للرهبان بأنّ الحملات الصليبيّة لم تزحزح المسلمين عن دينهم، ولا احتلالهم للبلاد المقدّسة آنذاك، ظهرت ترجمة للقرآن سنة 1143م والتي نُسبت للأب(بطرس المبجّل)، الذي كان مقتنعا بأنّه لا سبيل لمكافحة الإسلام وما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا بقوّة الكلمة، وبالتالي تطلّب الأمر معرفة كاملة بلغة الخصم حسب اعتقاده[2]. وقد قال في هذا الشأن:<< إنّ القرآن منبع الزندقات وسبب الحركات الهدّامة التي تهدّد كيان المسيحيّة فإذا أريد القضاء عليه فلابد من دراسته والدعوة إلى أنّه كتاب تعارضٍ وتضاربٍ وتناقضٍ

---

[1]- توفيق مزاري عبد الصمد، ، مرجع سابق، ص26.

[2]- ينظر، يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، تر: عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي ، بيروت، لبنان، ط2، 2008، ص16-17.

وأنّ ما فيه يرفضه العقل>>[1]، ولأنّ الغرض الأول والأخير كما يبدو لمحاولات الكنيسة في ترجمة القرآن هومحاربة الإسلام لا التعرّف عليه، كان لابد وأن تتّسم هذه البحوث بالتعصّب الديني والحقد على المسلمين، ممّا يُفقد الدراسات أدنى أسباب الموضوعيّة العلميّة .

7-2- الدافع التجاريّ

إنّ العلاقات بين الشرق والغرب التي تخصّ التجارة تمتدّ إلى زمن بعيد، فالشرق يملك خيرات وثروات عديدة لطالما كانت ومازالت لوقتنا هذا محطّ أطماع الطامعين خاصّة في عصر النهضة الأوروبيّة، والتي كانت هذه البلاد الغربيّة في أشدّ الحاجة للمواد الأوليّة والخيرات الموجودة في الشرق، ولحسن حظ الغرب أنّه يعلم جيدا أهميّتها وكيفيّة استغلالها في نهضته، تقول(سيجريد هونكه): << إنّ أساس الثروة والقوة الاقتصاديّة والتأثير القوي في كل مكان كان كامنا في الأرباح العربيّة، بل قل: إنّ أساس كل رخاء سابق في بلاد الغرب قد نبت في سلال التوابل العربيّة ومن معها>>[2].

وهكذا كانت التجارة بينهما قائمة منذ عصور ولها طرقاتها الخاصّة، وهكذا كانت أوروبا تنعم بتلك الخيرات الآتية من بلاد الأحلام، ومحطّ الأطماع؛ وهذه الأهداف التجارية كانت في العصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي، فرغبة أوروبا في تطور حضارتها خاصة في عصر النّهضة وعصر الثورة الصناعية، جعل من ملوكها وحتى مؤسساتها المالية في أحيان كثيرة من يموّل البحوث التي يوفدون فيها المستشرقين إلى بلاد الشرق حيث يقوم هؤلاء بالتعرف على البلاد، وجغرافيّتها وزراعتها وطبيعة

[1]- عرفان عبد المجيد،المستشرقون والإسلام، مطبعة الإرشاد، بغداد، العراق، دط، 1969،ص12،11.

[2]- سيجريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب << أثر الحضارة العربية في أوروبة>> ، تر، فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط8، 1993، ص36.

شعوبها وأنسب الطرق والبلاد للتجارة والتمويل بما تحتاجه أوروبا آنذاك، كما كانت الحكومات المعنيّة هي من توفّر الحماية لهؤلاء المستشرقين أثناء رحلاتهم الاستكشافية هذه[1]. وهكذا اجتمعت حنكة التاجر مع ذكاء وخبرة المستشرق، كل ذلك في سبيل استغلال أكبر قدر ممكن من خيرات الشرق والاستفادة منها في الغرب.

7-3- الدافع الاستعماري:

وما إن سقطت الأندلس وتبعها ضعف الدولة العثمانية ومن ثم سقوطها، حتّى انقضّت الدول الأوروبيّة على تركة الرجل المريض وتقاسمتها، وكانت بداية مرحلة الإستعمارات الأوروبيّة على البلاد العربيّة والإسلاميّة والشرق عامّة، فظهر دور الاستشراق؛ بحيث << إنّ فئة من المستشرقين القائمة على خدمة الاستعمار والضالعة في موكبه وركابه كان لابدّ لها أن تقوم بدورها المرسوم فتصوِّر الشرق في صورة الشعوب المتخلفة فطريّا وأن تولّد لدى الشرقيّين القناعة اللازمة بتقدم الغرب الأوروبي وتفوّقه الحضاري الفطريّ عبر العصور، وأنّ المسؤوليّة الملقاة على الشعوب الأوروبيّة من خلال فكرة ««عبء الرجل الأبيض»» مسؤوليّة إنسانيّة حضاريّة اتجاه العقليّة الشرقيّة العاجزة بالفطرة»>[2].

وهكذا كان دور هؤلاء الباحثين في إضعاف المقاومة الروحيّة وبثّ الوهن والفزع في نفوس المسلمين وذلك بمحاولة نفث التشكيك في العقيدة الإسلامية ودفعها للخجل من ماضيها وحضارتها،[3] فتضعف هذه الأمّة وتذهب ريحها وتصبح لقمة سهلة في أيدي

---

[1]- ينظر، محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص 77، 78.

[2]- فاروق عمر فوزي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى)، الأهلية، عمان، الأردن، ط1، 1998، ص 34،35.

[3]- ينظر، مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)، مرجع سابق، ص22.

الغاصبين، فإنّ محاولة الطعن والتشكيك في مبادئ أيّ أمّة هوأقوى سبب يضطرها لتسليم أمرها لعدوّها .

7- 4- الدافع العلمي :

قد يعتبر هذا الدافع والذي هدفه تقصّي العلم لغرض العلم فحسب هوآخر الدوافع الظاهرة لحد الآن من الدراسات الاستشراقيّة، حيث تفرّغ بعض المستشرقين لمحاولة البحث الموضوعيّة والخاليّة من الأغراض المشبوهة كالتبشير والاستعمار، ويقدّر (بارت) أنّ بداية الاستشراق العلمي الموضوعي كانت منتصف القرن التاسع عشر، وإن كان لا ينفي بعض المحاولات الجديّة قبل هذا التاريخ[1].

ويقول (مصطفى السباعي) في هذا الشأن: << ومن المستشرقين نفر قليل جدّا أقبلوا على الاستشراق بدافع من حبّ الاطّلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها وهؤلاء كانوا أقلّ من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه، لأنّهم لم يكونوا يتعمّدون الدسّ والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحقّ وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة إلى المستشرقين، بل إنّ منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته>>[2]. وهذا الأمر إن دلّ على شيء، فإنّه يدل على شرف العلم، وقدرته على القضاء على الترسّبات العصبيّة، والخلفيات الفكرية الفاسدة، فإنّ شعلة العلم من أجل العلم الخالص تعطي كلّ ذي حقٍ حقّه، كما أنّها قادرة على القضاء على ظلمات الجهل والضلال.

[1]- ينظر، رودي بارت، مرجع سابق، ص23.

[2]- مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)، مرجع سابق، ص 24، 25.

الفصل الأول

محور اللغة والأدب العربي

أولا: اللغة العربية عند المستشرقين

1- أصل العرب

2- نشأة اللغة العربية

2-1- العربية البائدة

2-2- العربية الباقية

3- محاولات المستشرقين للقضاء على اللغة العربية

3-1- الدعوة إلى إحلال اللهجات العاميّة بدل الفصحى

3-2- االدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينيّة

3- 3- الدعوة إلى إحياء القوميات العربية والأدب القومي

ثانيا: الشعر الجاهلي في ميزان المستشرقين

1- تحديد فترة العصر الجاهلي

2- موقف المستشرقين من الشعر الجاهلي

2-1- موقف تيودور نولدكه

2-1-1- قضية الرواة في الشعر الجاهلي

2-1-2- مكانة الدين في الشعر الجاهلي

2-1-3- قضية تدوينه ودور الخط العربي في ذلك

2-2- موقف المستشرق ديفيد صمويل مرجليوث

2-2-1- قضية الرواة

2-2-2- مسألة الدين في الشعر الجاهلي

2-2-3- مسألة وحدة اللغة في الشعر الجاهلي

2-2-4- قضية تدوين الشعر الجاهلي

3- رد الفعل العربيّ على قضية التشكيك في الشعر الجاهلي

3-1-الرد على مسألة التشكيك في الرواة

3-2- الرّد على مسألة مكانة الدين الوثني في الشعر الجاهلي

3-3- الرد على قضية وحدة اللغة الشعر الجاهلي

3-4- الرد على قضية تدوين الشعر الجاهلي

4- موقف طه حسين من الشعر الجاهلي

3-5- تحليل محمد محمود شاكر لقضية فساد الشعر عن ابن سلاَّم

6- موقف جيمس تشارلز ليال

أولا: اللغة العربية عند المستشرقين

يعتبر العالم الشرقي مجموعة عوالم مختلطة، أممٌ كثيرة عريقةُ النّشأة وعظيمة الحضارة والتاريخ، مهبطُ الديانات السماويّة، ومَكمن المعتقدات المختلفة.

وبما أنَّ الاستشراق هوالعلم الذي يدرس كل هذا وأكثر في عالم الشرق، فهذا الأخير لشساعته وتنوّع ثقافاته ومجالات البحث فيه، كان قد جعل المستشرقين يتوزّعون فيه بدراساتهم وبحوثهم، كلّ حسب مجال اختصاصه واهتمامه سواء في اللغة أوالدّين أوالحضارة، وباعتبار أنّ العالم العربي وتراثه وحضارته والدين الإسلامي وكل ما يتعلق بعقيدة المسلمين هومن هذا الشرق، فقد كان له من المستشرقين صولات وجولات حاز فيها حصّة الأسد في كمٍّ بحوثهم، وكل منهم حسب هدفه من هذه البحوث، وكل منهم حسب نيته، ولتوضيح مسار الدراسة في هذا الجزء من الفصل، يمكن أن نطرح الأسئلة الآتية:من هم العرب؟ وما هي اللغة العربية؟ وكيف تناولها المستشرقون في بحوثهم؟ وماذا قالوا عنها؟ وكيف كان رد الباحثين الشرقيّين في هذا الموضوع؟.

1 – أصل العرب :

العرب من أعرق الشعوب، حيث ينحدر أصلهم من الجذور الساميّة، مع العبرانيّين والبابليّين واليمنيّين والآشوريّين، ويطلق عليهم لقب الساميّين نسبة إلى انتمائهم إلى سام بن نوح، والعالم شلوتزر Schlozer هوأول من استخدم عليهم اسم الشعوب الساميّة في أواخر القرن الثامن عشر[1]، ومهما يكن من اختلاف في مهد الساميّين، فإنّهم قد نزحوا منه وتفرّقوا في البلاد منذ غابر الدّهر، فسكن البابليّون والآشوريّون في العراق، والفينيقيّون

[1]– ينظر، علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط3، 2004، ص 6.

سواحل سوريا، والعبرانيّون في فلسطين، والأحباش في الحبشة، العرب في شبه الجزيرة العربية[1].وهكذا كانت بدايات استقرارهم كشعب له مميّزاته في هذه البلاد التي صارت له.

2- نشأة اللغة العربيّة

وتعود نشأة اللغة العربية في بلاد الحجازِ ونجدٍ وما إليها، وهي تنقسم إلى قسمين:

2-1- العربية البائدة: وهي عربية كانت تطلق على لهجات عشائر كانت تسكن شمال الحجاز، هذه العربية بادت قبل ظهور الإسلام ولم يصل إلينا منها إلا بعض النقوش.

2-2- العربية الباقية: وهي التي تنصرف إليها كلمة العربية عند إطلاقها، وهي المتقدّمة عند الأمة العربية، وقد وصلت إلينا عن طريق آثار العصر الجاهلي، والقرآن والحديث، وما كان من آثار العصور الإسلامية اللاحقة[2].

ولقد انتشرت اللغة العربية في كثير من الدول عبر العصور ولم تبق خاصة بسكان جزيرة العرب[3]. ومع عهد الاستعمار الأوروبي للبلاد العربية وبالبحث في مقوماتها، لاحظ المستشرقون أهمية اللغة العربية الفصيحة في وحدة هذه الشعوب، والتي تقوّي الروابط بينهم، وتلغي قيود التفرقة والاختلافات الأخرى بينهم، وهكذا تمّت الدعوة إلى ثلاثة أهداف في محاولةٍ لتدمير اللغة العربية، وكانت كالآتي:

1- الدعوة إلى إحلال اللّهجات العربية المختلفة محل اللغة العربية الفصيحة.

2- الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية.

3- الدعوة إلى إحياء القوميات العربية المختلفة.

---

[1] - ينظر، أحمد حسين الزيات، مرجع سابق، ص 6.

[2]- ينظر، جرجي زيدان، اللغة العربيّة كائن حي،هنداوي، القاهرة، مصر، دط ، 2012، ص 17.

[3]- ينظر، علي حسني الخربوطلي، مرجع سابق، ص15.

3- محاولات المستشرقين للقضاء على اللغة العربية

3-1- الدعوة إلى إحلال اللهجات العاميّة بدل الفصحى

إنّ هذه الدعوة التضليليّة التفريقيّة ذات منابع استعماريّة بحتة، دعا إليها مجموعة من المستشرقين، كما نادى بها من تأثّر بهم من عرب شرقيّين، << ومن أجل هذا كله قام الاستشراق بإدخال تدريس لهجات العرب المختلفة في مدارسهم وجامعاتهم ومعاهدهم وأسند تدريسها أول الأمر إلى العرب أنفسهم أمثال محمد عياد الطنطاوي، وميخائيل الصباغ، وأحمد فارس الشدياق وغيرهم، ثم أخذ علماؤه في دراسة لهجات العرب المتعددة وإخراج مؤلفاتهم بها >>[1].

وهكذا تعلم هؤلاء المستشرقون اللغة العربية، وتعلّموا كيف يبثّون فيها سمومهم كيفما شاؤوا، بل وصاروا يعلّمون العربية ويؤلّفون بها و<< يعتبر ويلهم سبيتا الرائد الأول لكل من كتب بالعامية المصرية من الأجانب، ففي سنة 1880 م وضع كتابا في الألمانية عن<< قواعد العربية العامية في مصر>> ومن هذا الكتاب انبثقت الدعوة إلى اتّخاذ العامية لغة أدبية، ومن هذا الكتاب انبثقت الشكوى من صعوبة العربية الفصحى. في هذا الكتاب أيضا وضع أول اقتراح لاتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة العامية تلك الحروف التي نودي باستخدامها فيما بعد.. لكتابة العربيّة الفصحى>>[2].

وبالتالي فإنّ الدعوة لترك الفصحى وجعل العامية لغة الكتابة لم تبق مجرّد كلام إنّما طبّق على واقع الكتابة والتأليف من قبل المستشرقين أنفسهم، واشتكى أصحاب هذه الدعوة من اللغة العربية الفصيحة وساقوا حججهم عليها كالآتي :

---

[1]- أحمد سمايلوفتش ، مرجع سابق ، ص 669 .

[2]- نفوسه زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، مصر، ط1، 1964 ، ص 18.

<< أولا: ذلك التباين الكبير بين لغة الكتاب ولغة الخطاب، ممّا يجعل العلم وقفا على طائفة محدودة من الناس.

ثانيا: قصور الفصحى عن الوفاء بحاجات الحضارة المتجددة النّامية يوما بعد يوم.

ثالثا: صعوبة الفصحى، وتعذّر إتقانها على الرغم من الجهود السخيّة التي تبذل في هذا السبيل.

رابعا: جمود الفصحى، وعدم استعدادها للتطور >>[1].

وهذه هي الاتّهامات التي ساقها المستشرقون ضدّ اللغة العربية الفصحى في محاولة منهم لتشويهها والنيل منها، و بعد ظهور هذه الدعوة وخروجها حيّز التنفيذ، وبينما هي بين مؤيّد ورافض، سارعت مجلة المقتطف عام 1881 م لتبنّي هذا النداء، وذلك بالتشجيع على ترك العربية الفصحى وجعل لغة الخطاب هي لغة الكتابة، وهذا ما دعا إليه الإنجليزي (وليم ولكوكس) وهو أحد مهندسي الريّ في مصر، بل وطبّق هذا الأمر فقام بترجمة شطر كبير من الإنجيل إلى اللهجة المصريّة العاميّة، إضافة إلى ترجمة مسرحيات " شكسبير" باللّهجة المصريّة كذلك[2].

ولقد تابع هذا المهندس محاولاته وجهوده في جعل اللهجة العاميّة هي الرسميّة في الكتابة والتأليف، << وفي سنة 1893م ألقى ولكوكس محاضرته "لِم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريّين الآن" في نادي الأزبكية، ونشرها باللغة العربية في مجلة الأزهر في عهدها الجديد بعد أن آل إليه أمرها >>[3]، وكان قد حاول في محاضرته هذه الانتقاص

[1]– عبد الرحمان رأفت باشا، العدوان على العربية عدوان على الإسلام، دار الأدب الإسلامي، دب، ط1، 1996، ص 24.

[2]– المرجع نفسه، ص21، 22.

[3]– نفوسه زكريا سعيد، مرجع سابق، ص32.

باللغة العربية الفصيحة قائلا << أيّها المصريّين، لن تزالوا قادرين على إيجاد قوة الاختراع لديكم.. فإنه يوجد فيكم أناس كثيرون توفّرت فيها الشروط... ولكن بسبب عدم وجود لسان علمي مشهور فيما بينكم لم تحصلوا على شيء، وأضعتم أعمالكم سدى، إذ السبب في ذلك أنّ الكتب العلميّة الدنيويّة يؤلفها أربابها بكلام مثل الجبال وفي آخر الأمر لا يلد هذا الكلام الصعب إلا فأرا صغيرا وما نشأ ذلك إلا من كون اللسان العلمي غير مشهور فيما بين العامة، فمجرّد وضع الأفكار في الكتب تموت>>[1].

وهذه كانت حملة التّشويه للغة العربية الفصيحة بأنّها لا تستطيع مجاراة تطور العلوم بمفرداتها البدويّة، لكن الأدهى والأمر أنّ هذه الشبهات صار يردّدها ليل نهار بعضٌ من كتابنا العرب، ولقد كان من أشد المتأثّرين والمشجعين على نبذ الفصحى واللحاق بالعاميّة (سلامة موسى)؛ والقارئ لكتابه «اليوم والغد» يستغرب كثيرا حجم كرهه لأصل العرب خاصة وللشرق عامة فيقول: << كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضّحت أمامي أغراضي من الأدب كما أزاوله، فهي تتلخّص في أنّه يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلتحق بأوروبا، فإنّني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له، وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقي بها، وزاد شعوري بأنها مني وأني منها>>[2].

فهو يتبرّأ من الشرق كليّا ويدعو للسير في رحاب أوروبا والتحلّي بمبادئها بل قد أفرط في هذا الأمر ولم يعد في الثقافة فقط بل تعداه إلى الدين ودعا إلى فصل الدين عن الدولة وعن التعليم، يقول : << وأريد من التعليم أن يكون تعليما أوروبيّا لا سلطان للدين عليه ولا دخول له فيه، وأن يتولى تعليم اللغة رجال متمدنون يفهمون على الأقل نظرية

[1]– أحمد سمايلوفتش، مرجع سابق، ص672.

[2]– سلامة موسى، اليوم والغد، هنداوي، وندسور، المملكة المتحدة، دط، 2017، ص 07.

التطور ولا ينسبون الشعر العربي لآدم وإبليس، ولا يعتقدون أن اللغة العربيّة أوسع اللغات الآن، وهي تكّدنا في التعبير البسيط >>[1].

وهكذا كان يدعو لتعليم إلحاديّ ويهزأ بتراث وشعر العرب، ويزدري كل ماله علاقة بالشرق وبالعرب، متأثرا بأوروبا ويرى أنّ اللغة العربية لا تخص مصر وإنّما ورثتها أثناء الفتوحات، فهي لغة بدويّة لا تستطيع العيش في الزمن المتحضّر الذي نعيش فيه الآن << ولا أقول لغتهم، بل لا أقول كل ألفاظهم، فإننا ورثنا عنهم هذه اللغة العربية، وهي لغة بدوية لا تكاد تكفل الأداء إذا تعرضت لحالة مدنية راقية كتلك التي نعيش بين ظهرانيها الآن، فها أنا ذا في غرفتي لا أعرف كيف أصف أثاثها بالعربية، ولكنني أستطيع إجادة وصفها بالانجليزية، واللغة مع ذلك شاقة تكدّ الذّهن في حفظ قواعدها التي لا تنتهي>>[2].

وانتصر (سلامة موسى) للسير (ولكوكس) وأشاد برأيه القائل بإحلال العاميّة مكان الفصحى، كما أنّه حاول الدفاع عن آراء (ولكوكس)، ونبّه بأنّ هموم هذا الأخير هي هموم مصريّة أكثر منها إنجليزية، بل إنّ كل طموحاته من أجل مصر وتطوّرها ولحاقها بركب أوروبا ويرى أنّ (ولكوكس) تقلقه هذه اللغة التي نكتبها ولكن لا نتكلمها، كما يكرّر (سلامة موسى) أنّ اللغة العربية الفصيحة عاجزة كل العجز عن مجاراة عصر التكنولوجيا، وتجعل من المصريين مشتّتين في القوميّة العربية بخلاف الوطنيّة المصرية، و تجعل منهم شرقيّين في الوقت الذي يجب أن يفكروا مثل الغرب[3].

وهذه الحملات الاستشراقيّة والاستعماريّة ضدّ اللغة العربيّة، والتي تستهدف أمّة كاملة وتاريخا كاملا، تصدّى لها رجال العربية وأدباؤها وحماتها من مختلف البلاد

---

[1]– سلامة موسى، مرجع سابق، ص07.

[2]– المرجع نفسه، ص 140 .

[3]– ينظر، المرجع نفسه، ص59، 60، 61.

الإسلامية من عرب وغيرهم، ومن الذين غاروا على حرمة لغة القرآن وجنّدوا أقلامهم وأفكارهم للذود عنها نذكر منهم: عبد الرحمان رأفت باشا في كتابه << العدوان على العربية عدوان على الإسلام>> وأحمد سمايلوفتش في كتابه:<<فلسفة الاستشراق>>، و(نفوسه زكريا سعيد) في كتابها <<تاريخ الدعوة إلى العاميّة وآثارها في مصر>>.. وغيرهم كثير و<< على صفحات الكتب والجرائد والمجلات. و ذلك في أبحاث عامّة تعرّضوا فيها لدراسة تاريخ اللغة العربية وتطورها في مختلف مراحلها التاريخية، ودراسة أنجح الطرق في تدريسها، ودراسة العوامل التي تساعد على النهوض بها وتعميم نشرها >>[1].

فللغة أهمية كبيرة في حضارة الأمّة وتوحيد كلمة شعوبها، وهذا مايؤكّده (ساطع الحصري) حيث يقول: << فإنّ كل أمّة تحتاج إلى لغة "موحَّدة " تزيدها تجاوبا وتماسكا فتكون "موحِّدة"، لأنّ مهمة اللغة لا تنحصر في ضمان التفاهم بين المتخاطبين الذين يعيشون في قرية واحدة أو مدينة واحدة، ولا بين الذين ينتسبون إلى إقليم واحد، أو قطر واحد، بل هي ضمان التفاهم والتخاطب والتجاوب بين جميع أبناء الأمّة، على اختلاف مدنهم وأقطارهم >>[2] .

ولقد منَّ الله تعالى على الأمّة العربية والإسلامية بوحدة لغة القرآن، لتكون لهم قوة ورابطة أقوى من كلّ اختلافات الأقاليم والبلدان واللّهجات، لغة تجمعهم وإن فرّقتهم المسافات، لغة هي كالأم تجمع أبناءها وإن كان بينهم آلاف الاختلافات.

وعن اللغة العربية يقول (عبد الرحمان باشا) : << وهي الحصن الذي لاذ به العرب طوال خمسة عشر قرنا فصان كيانها من أن يتمزّق، وحفظ شملهم من أن يتفرّق، ووحّد

[1]– نفوسه زكريا سعيد، مرجع سابق، ص 236.

[2]– ابن خلدون ساطع الحصري، في اللغة والأدب وعلاقتهما بالقوميّة، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2 ، 1985، ص29.

كلمتهم على دفع العدوان كلما تعرّضوا للعدوان. وهي فوق ذلك كله لغة قرآننا العظيم، ووعاء ديننا القويم، ومستودع حضارتنا الزاهرة وخزانة تراثنا الروحي والعقلي >>[1].

فلغتنا العربية ليست مجرد لغة، إنّما هي لغة ديانتنا ولغة تراثنا العربي لما يربو عن خمسة عشر قرنا، وإذا اتّهموا هذه اللغة بأنّها لغة لا تصلح للعلم ولا للتقدم الحضاري فإنّ الجدير بهم أن يفقهوا أنّ العقل هوالذي يصنع الحضارة؛ تلك الرغبة في العلم والريادة هي التي ترفع الأمم، ولغتنا العربية لغة مطواعة للعلوم، والتاريخ يشهد لها وإنّما حال بيننا وبين التطور اليوم العمل والنهضة بالعقول فمن << ذا الذي أزال من عقول هؤلاء أسماء الكندي والخوارزمي وثابت بن قرة وابن النفيس والدينوري والخازن والبستاني والفارابي والبغدادي والقرطبي وغيرهم الذين قدّموا لأوروبا مبادئ العلم الأساسية لكي تبني عليها نهضتها >>[2].

وإذا اتّهموا هذه اللغة بالقصور وبأنها عقيم لا تلد، فهذه اللغة قد وسعت كلام الله لفظا وغاية، ورحُبت أساليبها لأسمى المشاعر، ولمّا انتشر الإسلام لم يمض قرنان من الزمان حتى أصبحت اللغة العربية الفصحى لغة سكان الرقعة الممتدّة بين المحيط والخليج، إضافة لبلاد الأندلس، حتى أنّ أبناء هذه الأقوام المسلمة من غير العرب قد سحروا بها، وهبّوا يؤلفون الكتب ويضعون القواعد لحمايتها من لهجاتهم، وصيانة فصاحتها من عُجمة ألسنتهم، وفي عصر الترجمة في عهد "بني العباس"، استطاعت اللغة العربية أن تتّسع وتستوعب فلسفة "اليونان" وحكمة "الهنود" وأدب "الفرس"[3].

---

[1]– عبد الرحمان رأفت باشا، مرجع سابق، ص 08،09.

[2]– أحمد سمايلوفتش، مرجع سابق، ص677.

[3]–ينظر، عبد الرحمان رأفت باشا، مرجع سابق، ص 27 . 28.

كما أنّ غنى مفردات اللغة العربية الفصيحة أمر لا جدال فيه، يقول (محمد إبراهيم الفيومي): << إنّ اللغة الوحيدة التي عرفها رسول الله كانت من أجمل اللغات في الوجود، إنّ خزائن المفردات في اللغة العربية غنيّة جدا، ويمكن لتلك المفردات أن تزاد بلا نهاية، ذلك لأن الاشتقاق المتشابك والأنيق يسهل إيجاد صيغ جديدة من الجذور القديمة بحسب ما يحتاج إليه كل إنسان، على نظام معين >>[1]، فلم إذن يصرّ المشوّهون على فقر مفردات اللغة العربية ؟ وهل حقّا أنّ اللّهجات هي التي لها القدرة على إثراء العقول!؟.

لكنّ دعوة تعميم اللّهجات هذه ما هي إلّا أهداف للقضاء على العربية نهائيا، فبعد أن يتخلصوا من الفصحى ويتّخذوا اللّهجة فبطبيعة الحال لن تفي بالأغراض العلميّة، سنضطر لطلب العون من اللّغات الأخرى لتغطية النّقص على لهجاتنا، وهكذا رويدا رويدًا حتى تندثر اللغة العربية بلهجاتها كما اندثرت الفصحى، وتصبح لدينا لغة هي مزيج غير متجانس من المفردات من كل اللغات.

فكما يقول (علي عبد الواحد وافي): فإنّ العاميّة لغة فقيرة في مفرداتها، ولا تجاوز الكلمات الضرورية للحديث العادي كما أنّها مضطربة القواعد والأساليب، وكثيرا ما نضطر في حواراتنا العادية أن نستعمل الفصحى، إذا كنا بصدد التعبير عن حقائق منظمة، لأن مفردات العامية لا تسعفنا، ولولم نجد غير العاميّة نستخدمها في شؤون تفكيرنا لانقطع طريق ثقافتنا وتطوّرنا الفكري لأنّ الفكر إذا لم يجد أداة مواتية في التعبير خمدت جذوته وضعف شأنه [2].

[1]– محمد إبراهيم الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، دار الفكر العربي، مصر، دط، 1993، ص 422.

[2]– ينظر، علي عبد الواحد وافي، مرجع سابق، ص122.

فهؤلاء المستشرقون المحرّضون على جعل العاميّة لغة كل بلد عربي هم يسعون لزعزعة كيان الأمة وتسهيل عمل الاستعمار في خلق الإختلافات التي تجعل من كل شعب عربي شعب قائم بذاته، بينه وبين الشعوب العربية الأخرى فروقات شتّى .

والذين انساقوا وراء شبهاتهم ورفعوا رايتهم، فاتّهموا الفصحى، وخلقوا الصعوبات حولها، وألّفوا لأجل هذا الكتب والمقالات هم فئة سخّرت جهودها لخدمة أغراض خبيثة، ويؤكّد(أحمد ياسين يزبور) بأنّ الهدف من كل هذه البلبلة ليست اللغة العربية، وإنّما الهدف هوالقرآن الكريم والدين الإسلامي، لأنّ اللغة العربية هي لغة الكتاب والسنة[1].

حتى أنّه من المستشرقين المنصفين من قال كلمة حقّ في اللغة العربية وأهميتها في توحيد الشعوب العربية والإسلامية،فهاهو المستشرق الألماني (يوهان فوك) يقول:<< وإنّ العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسا لهذه الحقيقة الثابتة وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية وما عاداها من الأقاليم الداخلة في المحيط الأطلسي رمزا لغويّا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنيّة >>[2].

وإنّه لأمر غريب أن يخذل بعض أبناء العربية لغتهم أمثال (سلامة موسى) و(عبد العزيز فهمي)... وغيرهم فيسخّر الله من يدافع عن العربيّة من المستشرقين أنفسهم، فلقد أثنى (يوهان فوك) على اللغة العربية ودورها في الوحدة، كما أنّه تحدث عن محاولات أعداء العربية في هدمها والدسّ لها، ويرى بأنه << قد كان لزاما على العربية الفصحى أن

[1]– أحمد بن نعمان، مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء وإرادة السماء، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2008، ص 155، ص 156.

[2]– يوهان فوك، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، تر، عبد الحليم النجار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، دط، 2014، ص 234.

تقضي على تلك الحركة >>[1]، فليست رجعيّة ولا عصبيّة أن ندافع عن لغتنا ولغة تاريخنا ومصدر وحدتنا، إنما هذا ما يقتضيه الواجب الديني والإنساني.

3-2- الدعوة إلى كتابة اللغة العربيّة بالحروف اللاتينيّة

ظهر هذا الاقتراح بعد فشل الدعوة الأولى المتمثّلة في استبدال اللغة العربيّة الفصحى باللهجات العاميّة، وهي عبارة عن محاولة خبيثة أخرى من محاولات المستشرقين في طمس الهويّة العربيّة وتمثّلت في<< الدعوة إلى نبذ الحروف العربيّة وإحلال الحروف اللاتينيّة محلّها...وقد ظهرت هذه الدعوة في مطلع القرن العشرين، وكان من أوائل المبشرين بها القاضي الإنجليزي << ويلمور>> نفسه>>[2]، ولو أنّ هذه النداءات والشبهات لم تلق ألسنة وأقلاما عربية تدافع عنها لما تجاوزت مسامع قائلها، لكنها للأسف وجدت من أمثال (عبد العزيز فهمي)، و(أنيس فريحة)، و(سعيد عقل) وغيرهم من ينادي بها وكأنها الحل النهائي للنهضة والتطور والعلوم.

وكان من أشهر من حمل نفسه على نشر هذه الدعوة من العرب هو(عبد العزيز فهمي)، فقد ألف كتابا بعنوان <<الحروف اللاتينية لكتابة العربية>>، وإنّا لنستغرب من عنوان كتابه، فكأنّه يموّه نفسه أويموّهنا؟ فما شأن اللغة العربية وحروفها حتى نقحمها في الحروف اللاتينية!، أليست اللغة العربية لغة قائمة بذاتها لها حروفها وإعرابها ونحوها وصرفها؟ فما الحاجة لقتل هذه الحروف؟، لكنّه يقول:<< فكرّت جديّا في الأمر وقلّبته على كل وجوهه، فاتجه فكري إلى النظر في اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم العربيّة فنظرت واستيقنت أن لامحيص من هذا الاتخاذ. إنقاذا للعربيّة من مساوئ رسمها>>[3].

---

[1]- يوهان فوك، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب مرجع سابق، ص233.

[2]- عبد الرحمان رأفت باشا، مرجع سابق، ص30.

[3]- عبد العزيز فهمي، الحروف اللاتينية لكتابة العربية، مطبعة مصر، القاهرة، مصر، دط، 1944، ص10.

وهكذا كانت بوادر ظهور هذه الخطة الثانية في تدمير اللغة العربيّة، تحت مباركة المستشرقين، وبعد أن جمع (عبد العزيز فهمي) الصعوبات التي تتراءى له في الحروف العربيّة، قام بتقديم اقتراحه هذا إلى مؤتمر مجمّع فؤاد الأول للغة العربية عام1944م[1].

ويمكن إجمال الحجج ضدّ الحروف العربيّة التي صاغها فيما يأتي:

1- صعوبة ومساوئ رسمها التي أعجزت قارءها[2].

2 – في أفعال العربية المجرد والمزيد، وللمجرد وحده ستة أوزان، وقد يتبع الفعل الثلاثي الواحد أوزانا مختلفة[3].

3- الحروف العربية ذات أصل وثني، أما الحروف اللاتينية فهي عن النصارى، وهم أهل كتاب أقرب للمسلمين.

4- الحروف العربية عاجزة عن حفظ القران الكريم من اللحن،أما الحروف اللاتينية فهي القادرة على ذلك[4].

وبالطبع فلقد كان لهذه الشبهات رد فعل قوي من العلماء والأدباء العرب وغيرهم، الذين ألّفوا الكتب والمقالات للدفاع عن الحروف العربية وعلى كيان الأمة من الأفكار الاستشراقيّة.

---

[1]- ينظر، أنور الجندي، المساجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2، 2008، ص31.

[2]- أحمد بن نعمان، مرجع سابق، ص162.

[3]- ينظر، نفوسه زكربا سعيد، مرجع سابق، ص 208.

[4]- ينظر، عبد العزيز فهمي، مرجع سابق، ص26,25.

ولقد تنبّه علماء العربية والمدافعون عنها إلى جذور هذه الدعوة وأهدافها، وفي هذا يقول(أحمد محمد شاكر) :<< إنّ هذا الاقتراح تجديد للدعوة القديمة، واستمرار لها، حتى تتفرّق وحدة الأمة العربية، ويحال بينها وبين قديمها، فلا يعرفه ولا يصل إليه إلا الأفذاذ من علماء الأثَريات، كما هوالشأن الآن في اللغات القديمة، فيحال بين الأجيال القادمة وبين القرآن والحديث وعلوم العرب كما يظنون، فيندثر هذا الإسلام من وجه الأرض ويطمئنّ القوم>>[1].

فإنّ استبدال الحروف اللاتينية بدل العربية ماهو إلا جزء ثانٍ من محاولة تدمير كل ماله علاقة بالهويّة العربيّة، وذلك بعد أن دحض أدباء العربية دعوة الكتابة بالعاميّة في مهدها، وهذا ما يؤكّده الأستاذ بجامعة طهران (عباس إقبال) حيث يقول بأنه ولوتخلّى العرب عن الحروف العربيّة، فإننا لن نتخلىّ نحن عنها، وذلك لما يهدّد تاريخنا الأدبي إن نحن فعلنا ذلك، فماذا سيبقى من أثر للماضي إذا لم يجد أحدا يستطيع قراءته؟[2].

المخاوف نفسها ألقاها السيد (محب الدين الخطيب) حيث يرى في هذا الاقتراح أمرا خطيرا وغرضا خبيثا مستترا، فماذا ينوي (عبد العزيز فهمي) بالأجيال اللاحقة التي ستفقد ثروة علميّة وأدبيّة وآلافا من الكتب من عهد (محمد علي) إلى اليوم؟ وكل ما كتب قبل ذلك بأيدي الناسخين من يوم كتب زيد بن ثابت المصحف الشريف، إضافة إلى كل المطابع الموجودة في العالم العربي وغيره، ألا تصبح هذه الثروة العلميّة بالنسبة للأجيال التي ستدرس بالحروف اللاتينية وكأنّها مكتوبة بحروف صينيّة أوهيروغليفية؟[3].

[1] – أنور الجندي، المساجلات والمعارك الأدبيّة في مجال الفكر والتاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص 37.

[2]– ينظر، المرجع نفسه ص47.

[3]– ينظر، المرجع نفسه، ص 33.

فهل من الحكمة التضحية بكل الموروث اللغوي والأدبي والعلمي، والتاريخ الكامل للأمّة العربيّة الإسلامية في سبيل التنكّر لكل ما هوعربي؟ حتى في مصدر هويتنا وجذورنا؟!.

ورد السيد (محب الدين الخطيب) على هذا الاقتراح، وبيّن مكره، كما بيّن أهدافه البعيدة التي ينشدها المستشرقون الزارعون لهذه الفكرة السامّة في نفوس العرب، وبيّن الآثار التي تنتج مع مرور الزمن عنه، حيث قال:<< نعم سيقلّ يومئذ انشغال المطابع بطبع المصاحف وكتب السنة النبويّة، لأنها لا يبقى لها لزوم>>[1].

فهي محاولة في الحدّ من انتشار الإسلام والتضيّيق على اللغة العربية حتى لا يبقى من يستطيع قراءتها، وبالتالي فإنّه لا لزوم لطبع القرآن باعتباره نزل عربيّا، ويُتعبّد به بالحروف العربية التي بعد استبدالها بالحروف اللاتينية تصبح عبارة عن لغة مشوهة وضعيفة محكوم عليها بالموت والنّسيان يوما ما، كما ويقول (حسن أفندي رياض):<< فضلا عن أنّ كتابة اللغة بأحرف لغة أخرى لا يكون بالتواطؤ إلا في الأمم التي ليس للغتها قلم تكتب به، ويغلب أن يقع ذلك في لغات الأمم المتوحشة مثل سكان أواسط إفريقيا وأستراليا وأمّا اللسان العربي فيكفيه شرفا أنه من أرقى لغات العالم إن لم يكن أرقاها كلها، وزد على ذلك أن القلم العربي مابرح منذ بضعة عشر قرنا وسيلة الكتابة لعشرات من اللغات المشهورة في الهند وفارس وتركستان والمغرب وغيرها من البلاد الإسلامية >>[2].

وتم التصدّي ورفض اقتراح استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينيّة من قبل أعضاء المجمّع بعد أن تناولوه بالنقد و التدقيق، وذلك للأسباب الآتية:

[1]– أنور الجندي، المساجلات والمعارك الأدبيّة في مجال الفكر والتاريخ والحضارة، مرجع سابق مرجع سابق، ص33.

[2]– أحمد بن نعمان، مرجع سابق، ص 170.

– طريقة الكتابة باللاتينية تستدعى المعرفة أيضا بالقواعد الصرفيّة والنحويّة، فهي لا تمنع كتابة الكلمة على صور مختلفة حسب علم الكاتب بصحة الوزن والإعراب.

– هذه الطريقة ليست أسهل من الكتابة بالعربيّة فهي لا تخلومن النقط والعلامات التي استعانوا بها عن الشكل، ناهيك عن الخلط بين الحروف العربيّة واللاتينيّة.

– لا مجال للمقارنة بين المحاولة الأتاتوركيّة في استبدال الحروف، فاللغة التركيّة تحمل تراث لا يزيد عن ستمائة سنة، أما اللغة العربية فتحمل تراثا دام خمسة عشر قرنا.

– إن الحروف العربيّة برسمها وشكلها تؤدي الغرض منها وتعبّر عن مخارجها التي تميزها في اللغة وبدقّة[1].

– اللغة العربية لغة معربة، بخلاف اللغات الأوروبية التي تكتب بالحرف اللاتيني، حيث تختلف أحوال آخر الكلمة باختلاف موقعها في الجملة، ويمكن الفصل في هذا القول بأنّ اللغة العربية وحروفها ليست ملكا لشعب بعينه حتّى يقرّر مصيرها ، وأيّ محاولة للتغيير فيها أواستبدالها تكون بإجماع واجتماع الشعوب العربية والإسلامية، وهم يوم يجتمعون يكونون أشدّ حرصا على لغتهم وحروفهم العربية[2]، التي تمثل هويتهم وتمثل لغة دينهم وقرآنهم وخزانة تراثهم وإرثهم وصلتهم بأسلافهم وماضيهم، نحن أمة في أحوج ما تكون الآن إلى عناصر القوة والجماعة، أمّة أعزها الله بالإسلام، وأقامت في يوم ما حضارة عربيّة إسلاميّة عظيمة، دون أن تتخلى عن مقوماتها ولاعن عربيتها.

[1]– ينظر، نفوسه زكريا سعيد، مرجع سابق، ص، 214، 215 ،217 ،218، 219.

[2]– ينظر، عبد الرحمان رأفت باشا، مرجع سابق، ص 42,34.

3- 3- الدعوة إلى إحياء القوميات العربية والأدب القومي

وبعد المحاولة الفاشلة التي قام بها المستشرقون لتدمير اللغة العربية والتقليل من شأنها بالتغنّي باللهجات العاميّة، ثم تبعتها محاولة القضاء على الحروف العربية، تمّ النداء هذه المرة بولادة النزعة الإقليمية في الأدب، والجدير بالذكر بأنّ هذه الحملة أيضا قد كانت في فترة استعمار الدول الأوروبية للبلدان العربيّة، حيث سعت في البداية هذه الدول الاستعمارية إلى شحذ القوميّة بين الشعوب العربيّة، فقد << أراد الاستعمار منذ مطلع القرن تحطيم وحدة العرب فحاول أن يطلّ على ذلك من ثغرة في لغتهم وأدبهم وقوميتهم >>[1].

وهذا بهدف تفكيك وزعزعة كيان الأمّة الموحَد، وتعالت هتافات الشعوبيّة و(التجزئة) من طرف الاستعمار وأعوانه سواء من المستشرقين أوبمساعدة من تأثّر بهؤلاء من العرب، فدعت إلى أنّ لبنان شعب من أصل فرنسي، وبأنّ سوريا أمّة تامة، وحمل هذه الدعوة (أنطون سعادة)، وأن العلويّين هم ورثة الصليبيّين وبقية منهم، فكان أن ادّعى (سليمان المرشد) وهوأحد زعماء العلويّين الألوهيّة عام 1946 م بدعم من فرنسا، وأشعلت الخلاف بين السنة والشيعة في العراق، وخلق صراعات بين الأكراد والعرب في العراق أيضا، كما سمع صدى هذه الدعوات التفكيكية في بلدان المغرب العربي، ونادى المحتلّ هناك بوجوب التفرقة بين العرب والبربر باعتبار أنّ البربر سلالة فرنسيّة مسيحيّة[2].

ولا يخفى على أحد اليوم حجم الخطر الذي كانت تحمله هذه الشبهات في فصل كل دولة عربية عن الأخرى، وخلق النزاعات الطائفيّة والشقاق بين أبناء الشعب الواحد، وكم

---

[1]- أحمد سمايلوفتش، مرجع سابق، ص 657.

[2]- ينظر، أنور الجندي، تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين1920/ 1940، دار العلم للطباعة، القاهرة، مصر، دط، 1988، ص 127.

كان سيسهِّل على الاستعمار هذا التشتيت لوأنه استحكم وتقرّر في نفوس الشعوب العربيّة.

وهذه المحاولات وإن وجدت من يسمع لها ويعمل على نشرها، فإن ردود فعل عربية وإسلاميّة كثيرة قد قامت في وجه خطة الاحتلال في التفرقة وخلق روح الشعوبيّة، ومثال ذلك ما حدث في الجزائر حيث << قام عبد الحميد بن باديس وإخوانه بأضخم عمل في تاريخ الفكر العربي المعاصر في الغرب فقد أنشأ ثلاثمائة مدرسة في مساجد الجزائر في مدنها وقراها ودساكرها تعلم القرآن واللغة العربية وتقاوم خطة فرنسا في القضاء على العربية والإسلام >>[1].

فقد علم (عبد الحميد بن باديس) الهدف من هذا الأمر وأنّ المحتل يتّبع طريقة فرّق تسد، حيث إنّ قوة الجماعة في وحدتها، لا في خلق روح الشعوبيّة والطوائف بينها، ومن هذا أيضا انتشرت الدعوة للإقليميّة في الأدب كذلك، فالأدب هو روح الشعوب الذي يتأثّر ويؤثّر بأحوالها، فكان أن << دعا بعضهم إلى إقليميّة الأدب وذلك في مجرى الدعوة الإقليميّة السياسيّة والاجتماعية والفكريّة والفصل بين مصر والأمة العربية من ناحية وبين العالم الإسلامي من ناحية أخرى >>[2].

كما كان لهذه الآراء مناصروها من أبناء الأمّة العربيّة، وظهرت بوادرها مع (أحمد ضيف) في محاضراته التي ألقاها في الجامعة المصريّة ونشرت تحت عنوان << مقدمة في بلاغة العرب>>، والتي قال فيها بأنّ الأدب العربي ليس أدب أمّة واحدة، ولا يملك صفة مشتركة فيما بينه، وإنّما هومجموعة آداب مختلفة، وحمل لواء دعوته هذه من بعده

[1]– المرجع نفسه، ص 232.

[2]– أحمد سمايلوفتش، مرجع سابق، ص 658.

(أمين الخولي)، الذي لم يدّخر جهدا في تقوية هذه النظرة وتدريسها لطلابه في كلية الآداب[1].

وهكذا كان أن دعوا إلى إقليمية الأدب، وأن يتميز كل إقليم عربي بأدبه الخاص الذي يمثّله، فيكون لدينا: أدب مصري، وأدب عراقي، وشامي، وجزائري... ، ولم يتوان أدباء العرب في الرد عن هذا الأمر، وفيه يقول (عبد الرحمان رأفت باشا): << وكم أحرجْنا هؤلاء الدعاة حين كنا نسألهم عن (أبي الطيّب) الذي ولد في "الكوفة" من أرض "العراق"... وغنّى أعذب ألحانه في "حلب" من بلاد "الشام"... وصاغ أحكم قوافيه في أرض الكنانة "مصر"... وأعطى أصدق تأمّلاته في بلاد "فارس".. أهوعراقي، أم شاميّ ؟؟ .. أم مصري ، أم فارسي ؟؟.. وفي أدب أيّ إقليم يمكن وضع أدبه ؟؟ >>[2].

وماذا يضيف هذا لعالم الأدب من فائدة؟ إلا أنّه يلحق الضرر الكبير لما سيؤثر في فك روابط الشعوب العربية، وكسر أي مصدر قوة موحدة سواء في الدين أواللغة أوالأدب والتراث، وإذا كان (أمين الخولي) ينكر وجود مثل هذه الرابطة، ويرى أنّ الأمّة الإسلامية هي أبعد ما تكون عن الوحدة وبأنّها عبارة عن خليط من الأجناس وبالتالي حسب رأيّه ليس لها أن تدّعي غير ذلك، فيردّ (ساطع الحصري) عليه بأنّه لا أحد قد نادى بأدب إسلامّي عام وموحّد، وإنما الفكرة بأنّه لا داعي لاتخاذ هذه القضية دليلا قاطعا على ضرورة تبنّي إقليميّة الأدب العربي[3]، فهذه ماهي إلا خطوات يرسمها الاستعمار بالاستعانة بالمفكرين والمستشرقين ومن والاهم من العرب لتدمير وحدة الأمة العربية وزرع الشقاق بين الشعوب حتى تضعف شوكتهم وتذهب ريحهم، فلطالما كانت القوة في الوحدة، ولوأن الله ترك مصير وحدة هذه الأمة لأنصار المستشرقين لما وصل إلينا اليوم من

[1]– ينظر، ابن خلدون ساطع الحصري، مرجع سابق، ص12، 13.

[2]– عبد الرحمان رأفت باشا، مرجع سابق، ص 36.

[3]– ابن خلدون ساطع الحصري، مرجع سابق ،ص 13، 14، 15.

العربية الفصحى ومن وحدة عروبتنا شيء، لكن الله تعالى قد أقام رجالا وعلماء حملوا سلاح الفكرة والقلم، ونصروا الوحدة العربية والإسلامية، وجعل كلمتهم هي العليا.

ثانيا: الشعر الجاهلي في ميزان المستشرقين

يحظى الشعر الجاهليّ بمكانة عالية ومنزلة مرموقة في الثقافة العربية، فهو يعدّ ثروة أدبيّة مَهيبة، كما يعدّ صلة مقدّسة بالماضي وظل يحمل قداسته هذه إلى يومنا هذا بوصفه تراثا أدبيّا يستحق الاعتزاز به.

1- تحديد فترة العصر الجاهلي

يحدد الباحثون بداية العصر الجاهلي باستقلال العدنانيّن عن اليمنيّين، تحديدا في منتصف القرن الخامس للميلاد، ونهايته بظهور الإسلام سنة 622م[1]، ويقول الجاحظ فيما يخصّ الشعر الجاهلي وتحديد زمانه:<< وأمّا الشعر فحديث الميلاد صغير السنِّ، أول من نهَج سبيله وسهّل الطريق إليه امرؤ القيس بن حُجر ومهلهل بن ربيعة(...) فإذا استظهرنا الشعر، وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام، خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام>>[2]، وهكذا ظل ينتقل إلينا عبر الروايات والشفاهة، حتى بداية التدوين في حقبة متأخرة من عصر بني أميّة[3].

وفي العصر الحديث وبعد الاهتمام المتزايد للمستشرقين بالدراسات العربية والإسلامية، كان لابد أن يكون للشعر الجاهلي نصيب وافر من تلك البحوث الاستشراقيّة؛ ولهذا تناوله المستشرقون بالنقد والتمحيص والشك والتوثيق، خلال دراسات خصّصوها له، أومن خلال مقدمات الدواوين والكتب التي قاموا بتحقيقها ونشرها[4]، وهذا ماكان له صدى

---

[1]- ينظر، أحمد حسين الزيّات، مرجع سابق، ص5.

[2]- الجاحظ (ابن عثمان عمر بن بحر)، الحيوان،الجزء1، تحقيق وشرح، عبد السلام محمد هارون،دد، دب، ط2، 1965،ص74.

[3]- ينظر، شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف،القاهرة، مصر،ط11، 1960، ص141، 159.

[4]- ينظر، يحي وهيب الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص13.

واسع وأثر كبير على الساحة الأدبيّة العربيّة، تباينت مابين موجات غضب ودفاعات عن أصالة الشعر الجاهلي وبين متأثّرين بآراء التشكيك حول الشعر الجاهلي وصحته.

2- موقف المستشرقين من الشعر الجاهلي

2-1- موقف تيودور نولدكه Thedor Noldeke

ألّف(نولدكه) كتابه بعنوان<< في سبيل فهم الشعر الجاهلي>>، والمطبوع سنة 1864م، والذي تناول فيه قضية الشعر الجاهلي، وهذا البحث يعدّ أول بحث استشراقي تعرّض لمسألة الانتحال[1]،ذكر فيه صاحبه مجموعة قضايا ومسائل أثارت الشكّ في أصالة هذا الشعر من هذه الفترة، نذكر من هذه القضايا :

2-1-1- قضية الرواة في الشعر الجاهلي: تعرَّض (نولدكه) هنا إلى رواة الشعر الجاهلي؛ بحيث يرى بأنه من المغالاة أن نطالب رجلا مثل (حمَّاد) الراوية المتوفَّى بعد منتصف القرن الثاني بأن يحفظ ويدقّق آلاف القصائد ويرويها بدون تغيير، فلابد أن تستبدل كلمة أوعبارة وذلك راجع حسب رأيه إلى الثروة الهائلة لمفردات اللغة العربيّة[2].

2-1-2- مكانة الدين في الشعر الجاهلي: يرى(نولدكه) بأن الأبيات التي تتحدث عن عباده أهل البادية والأوثان قليلة جدا، وهذا حسب استنتاجه راجع إلى << تجنَّب المسلمون الصدمة التي تحدثها مثل هذه الأقوال الوثنية، إمَّا بأن يحذفوا أبياتًا ومقاطع بأكملها، أويولجوا بدلا منها أسماء الله الإسلامية>>[3]، وهكذا حدثت تغيّرات في هذا الشعر الجاهلي حسب (نولدكه) في ما يخص هذه القضية.

---

[1]-ينظر، يحي وهيب الجبوري، مرجع سابق، ص21.

[2]- المرجع نفسه، ص18، 19.

[3]- تيودور نولدكه، من تاريخ ونقد الشعر العربي القديم، تر،عبدالرحمان بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي،دار العلم للملايين،بيروت، لبنان، ط1979،1،ص26.

2-1-3- قضية تدوينه ودور الخط العربي في ذلك

يقول (نولدكه) :<< فأدب شعب من الشعوب لايمكن أن يبقى في صورته الأصليّة وقتا طويلا بدون مساعدة الكتابة. وكلما زاد انصهار مادة الأدب، فإن مايبقى يزداد تغيّرا، حتى تثبّته الكتابة. لكن التقيّد بالكتابة إنّما بدأ في الأدب العربي عند نهاية العصر الذي نتحدث عنه>>[1]. إضافة إلى رأيه في عدم تدوين الشعر الجاهلي. (فنولدكه) يرى في الخط العربي مشكلة أخرى في حفظ هذا الموروث بعد التدوين، حيث يقول بأنه من العسير فرز رواية واحدة فرزا حادا، وذلك راجع إلى اختلافها في المخطوطات، وتعدد قراءاتها ونصوصها[2]. قاصدا بذلك أنّ الخط العربي في بدايته لم يكن بالشكل والنقاط التي تضمن الدقة في قراءة المفردات.

2-2-موقف المستشرق ديفيد صمويل مرجليوث David Samuel Margoliouth

ومن أبرز المستشرقين الذين تعرضوا لقضية الشعر الجاهلي والشك في صحته <<لانجد مقالة تمثل سوء المنهج العلمي خضوعا للتعصّب المقيت ضد العروبة والإسلام وأشد وقعا وأبعد أثرا من مقالة << ديفيد صمويل مرجليوث David Samuel Margoliouth>> المستشرق الإنجليزي الذي نشرها بعنوان << أصول الشعر العربي The Origins of Arabic Poetry>> في عدد يوليوعام1925م من مجلة الجمعية الآسيويّة الملكية>>[3]، وكانت أبرز القضايا التي أثارها (مرجليوث) في دراسته والتي اعتمد عليها في إثبات رأيّه وشكوكه في الشعر الجاهلي، نذكر مايلي:

---

[1]- تيودور نولدكه، من تاريخ ونقد الشعر العربي القديم، مرجع سابق ، ص21، 22.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص30، 31.

[3]- محمد مصطفى هدارة، موقف مرجليوث من الشعر العربي، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، ج1،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،تونس،دط،1985، ص396.

2-2-1- قضية الرواة

وطعن هذا المستشرق في الثقة في الرواة والعلماء، مبتدئا(بالخليل بن أحمد الفراهيدي) واضع علم العروض، ومعتمدا على الضعيف من الروايات، وهويشكّ أصلا في وجود أشخاص وظيفتهم الرواية[1]، << غير أنّه مامن سبب يدعونا إلى الاعتقاد بوجود مثل هذه الوظيفة>>[2]، والتشكيك في الرواة والراوية من أكبر المطاعن في صحة الشعر الجاهلي، وهذا ماأثاره (مرجليوث)، بحيث اتّهم (حماد الراوية) بالكذب، واتّهم (خلف الأحمر) بالسمعة السيئة، واتّهم (المبرد) بالكذب أيضا[3].

2-2-2- مسألة الدين في الشعر الجاهلي: يرى (مرجليوث) أنّ أصحاب هذا الشعر الذي نسمّيه شعرا جاهليًا، ليس في الجاهلية بشيء، إنما هوشعر إسلامي وضعه المسلمون، والدليل على ذلك حسبه أنهم نادرا مايذكرون آلهة غير الله، كما فيه من المفردات والأفكار الإسلامية قدر كبير، مثال ذلك قول النابغة:

وأَلْفَيْتُ الأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لاَيَخُونُ[4].

2-2-3- مسألة وحدة اللغة في الشعر الجاهلي: يرى (مرجليوث) في وحدة اللغة في أشعار الجاهليّين دليلا قاطعا على أنّه قد صيغ بعد ظهور الإسلام، ونزول القرآن بلغة

---

[1]- محمد مصطفى هدارة، مرجع سابق، ص 403، 404.

[2]- ديفيد صمويل مرجليوث، أصول الشعر العربي، تر، إبراهيم عوض، دار الفردوس، د ب، د ط، 2006، ص25.

[3]- ينظر، المرجع نفسه، ص، 41,39، 45.

[4]- ينظر، ديفيد صمويل مرجليوث، نشأة الشعر الجاهلي ، دراسات المستشرقين حول الشعر الجاهلي، ، مرجع سابق، ص111، 113.

موحّدة مما أدّى إلى صبغة أشعار الجاهلية بلهجة قريش[1]، هذه كانت أهم القضايا التي أثارها هذا المستشرق حول قضية التشكيك والإنكار لأصالة الشعراء والشعر الجاهلي.

2-2-4 قضية تدوين الشعر الجاهلي : وإذا كان (نولدكه) ينفي وجود تدوين الشعر الجاهلي[2]، فإنّ (مرجليوث) يذهب بعيدا في وضع دليل على هذه المسألة بأنّه جاء في القرآن: ﴿ أَمْ لَكُم كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُون ﴾، وهذا حسبه ينفي وجود أدب جاهلي فصيح ومكتوب بالخط المسند أوبغيره[3].

وهكذا تكوّنت قضية الشك في الشعر الجاهلي مع أصحاب المدرسة الألمانية (نولدكه)، ولكنّها توسّعت ونالت شهرتها مع (مرجليوث)، الذي حاول بِبَثِّ الشك واتّباع منهج غير علمي هدمَ الموروث العربي الأدبي[4]، حتى قال عنه المستشرق (آربري) <<إنّ السفسطة وأخشى أن أقول الغش في بعض الأدلّة التي ساقها الأستاذ <<مرجليوث>> لا تليق البتّة برجل كان – ولا ريب– من أعظم أئمة العلم في عصره>>[5].

وهذه الشهادة كافية لتظهر مدى بعد (مرجليوث) عن الموضوعيّة في بحثه ونظرياته حول الشعر الجاهلي، أمّا (نولدكه) فقد صرّح بأنّ الانتحال الذي يتحدث عنه لايتجاوز التغييرات في ترتيب الأبيات أوتغيير كلمة مكان كلمة، أوإضافة أبيات من

---

[1]– ينظر، ديفيد صمويل مرجليوث، أصول الشعر العربي، المرجع نفسه، ص75.

[2]– ينظر، تيودور نولدكه، من تاريخ ونقد الشعر القديم ،دراسات المستشرقين حول الشعر الجاهلي ،مرجع سابق، ص21، 22.

[3]– ينظر، ديفيد صمويل مرجليوث، أصول الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص30.

[4]– ينظر، فاطمة فاتح، الشعر الجاهلي في ميزان الاستشراق الألماني–دراسة تحليلية نقدية–أطروحة دكتوراه،جامعة الجيلالي اليابس،كلية الآداب واللغات والفنون، سيدي بلعباس،الجزائر ،2016، ص147.

[5]– محمد مصطفى هدارة، مرجع سابق، ص400.

قصيدة أوشاعر مجهول لآخر، وهذه حسبه أمور طبيعيّة تصيب الشعر العريق الذي يُنقل بالرواية[1].

3- رد الفعل العربيّ على قضية التشكيك في الشعر الجاهلي

3-1-الرد على مسألة التشكيك في الرواة

أمّا بالنسبة لقضية الطعن في الرواة والتشكيك في صحة نقلهم فإنه منذ القديم <<قد عقد<<ابن جنّي>> في (الخصائص) بابا<<في صدق النقلة وثقة الروّاة والحملة>>وذكر فيه من أخلاق الرواة العلماء من أمثال<<أبي عمروبن العلاء>> و<<الأصمعي>>، و<<أبي زيد>> و<<أبي عبيدة>> و<<أبي حاتم>> مايوثّقهم ويدفع عنهم ما اتُّهموا به، ثم يذكر العصبيّة التي كانت وراء تبادل التّهم، فذكر أنّها علامة على تحرّي الدقة، والتشدّد في الرواية >>[2].

وإن كان (شوقي ضيف) لاينكر في الوقت نفسه أنّ الرواة قد تناولوا أشياء من الشعر الجاهلي بالتنقيح، لكن في حدود ضيّقة، مثل تبديل كلمة بكلمة، أوإقامة بعض الألفاظ على لهجة قريش، وذلك لأنّ الشعراء أحيانا يضعون كلمات من لهجاتهم القبلية، وقد يصلح الرواة عروض بعض القصائد، لكن كل هذا لايتمّ إلاّ وفق المحافظة على جوهر هذا الشعر، محافظة تشهد لهم بالدّقة وأنهم استطاعوا تبليغ هذه الثروة الأدبيّة للأجيال بصورة تكاد تكون مطابقة تمام المطابقة له[3]، << كما وتؤكّد المصادر المختلفة وجود سلسلة من الرواة تعاقبوا في الرواية، ثم نبغوا في الشعر الجاهلي وصاروا أعلامه وأشهر من في هذا المقام شعراء المدرسة الأوسيّة الذين يطلق عليهم (الأصمعي) اسم

[1]- ينظر، وهيب يحي الجبوري، مرجع سابق، ص21.

[2]- محمد مصطفى هدارة، موقف مرجليوث من الشعر العربي، مرجع سابق، ص411.

[3]- ينظر، شوقي ضيف، مرجع سابق، ص158.

عبيد الشعر>>[1]، وليس أدلّ على صحة الشعر الجاهلي من أنّ جِلّة الصحابة استعانوا به في تفسير ألفاظ القرآن الكريم، كابن عباس، مثل تفسيره لآية: ﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾: السِنة: الوسنان، الذي هونائم وليس بنائم، واستشهد بقول زهير:

ولاَ سِنةٌ طُولَ الدّهرِ تَأْخُــذُهُ وَلاَ يَـنـامُ وَمَا فِي أَمْرِهِ فَنَـــــدُ.

وآية: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدةً ﴾، كما فسّر(الطبري) الأمّة بالدين، واستشهد بقول (النابغة الذبياني): حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ ريْبةً وَهَلْ يَأْثَمنْ ذوأمّةٍ وَهُوَطَائِعُ[2].

وهذا إن دلّ على شيء، فإنه يدلّ على معرفة الصحابة الأُوَلِ للشعر الجاهلي وبأنه موجود ومعروف قبل الإسلام، وبأنهم يثقون بأصالته بحيث يستعينون به في تفسير القرآن، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تذكر في هذا المقام.

3-2- الرّد على مسألة مكانة الدين الوثني في الشعر الجاهلي

أمّا بالنسبة لرأي كل من (نولدكه) و(مرجليوث) حول أنّ الشعر الذي نحسبه جاهليّا إنّما هوصنيعة مسلمين موحدين، فيرد على هذا(إبراهيم عوض) حيث يرى بأن في الشعر الجاهلي نصوصا غير قليلة تتحدث عن الأصنام، أما شعرهم وكلامهم عن الكعبة والحج والقسَم بالله فليس بذلك غرابة، فالجاهليّون رغم وثنيتهم يؤمنون بإله واحد وهذا ما تؤكّده النّصوص القرآنيّة[3]، يقول تعالى على لسان المشركين: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[4]، فهم يعلمون بوجود إله واحد وما أصنامهم وأوثانهم إلا قربات لهم عند الله، ويسند (شوقي ضيف) مسألة أنّه لا علاقة بين الاحتجاج بقضية ندرة أوقلّة ذكر الأديان

---

[1]- محمد مصطفى هدارة، مرجع سابق، ص405.

[2]- ينظر، يحي وهيب الجبوري، ، مرجع سابق، ص168، 174، 196.

[3]- ينظر، صمويل مرجليوث، أصول الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص171.

[4]- سورة الزُّمر- 03-.

في الأشعار الجاهليّة بقوله: << وقياس الشعر الجاهلي في هذا الجانب على القرآن الكريم مردود أومنقوض، لأنّ القرآن كتاب ديني يريد أن يجمع العرب على الإسلام، فطبيعي أن يعرض لدياناتهم ويناقشها ويبيّن مافيها من ضلال، بخلاف الشعر؛ فإنّ شاعرا لم يدعُ لدين جديد، ومع ذلك فإنّ في كتاب الأصنام لابن الكلبي ذخيرة كبيرة من الشعر تصور حياتهم الوثنية تصويرا دقيقا>>[1].

كما أنّ القرآن يصوّر لنا أخلاق العرب وعباداتهم الوثنية، فلماذا يمحو المسلمون أبياتا شعرية قد كُتبت قبل الإسلام وتحدثت عن عبادة الأوثان؟ ولوكان الواجب إخفاؤها لأخفاها القرآن ولم يذكرها، لكنّه ليس هنالك داعٍ لإخفاء هذه العبادات الجاهلية، لأنّ القرآن جاء ليدحضها بالحجة والبيان لا أن يطمسها من التاريخ، ويضيف (شوقي ضيف) تعقيبا حول مسألة المفردات والأفكار الإسلامية في الشعر الجاهلي قائلا:<< أمّا الشعر المصبوغ بصبغة إسلامية بحتة فنسلّم بأنّه موضوع ووضعه ينحصر فيه، ولا يبطل ماوراءه من أشعار الجاهليّة>>[2]، وهذا القول إن دلّ على شيء فهويدل على أنّ المدافعين على أصالة الشعر الجاهلي لايعميهم التعصّب عن البحث وقول الحقيقة وإذاعتها.

3-3- الرد على قضية وحدة اللغة في الشعر الجاهلي

أمّا بالنسبة لوحدة اللغة في الشعر الجاهلي، فقول (شوقي ضيف) يشرح ويفسر هذه القضية حيث أنّ<< لغة القرآن الفصحى كانت سائدة في الجاهلية وأنّ الشعراء منذ فاتحة هذا العصر كانوا يَنظُمون بها وأنّها كانت لهجة قريش، وسادت بأسباب دينيّة واقتصاديّة وسياسيّة، فكان الشعراء يَنظُمون فيها متخلّين عن لهجاتهم المحليّة على نحوما

[1]- شوقي ضيف، مرجع سابق، ص171.

[2]- المرجع نفسه، ص167.

يصنع شعراء العرب في عصرنا على اختلاف لهجات بلدانهم وأقاليمهم>>[1]، وهذه اللغة كما يقول (مصطفى صادق الرافعي) تسمّى اللغة العدنانيّة، والتي اكتسبها بعض أهل اليمن بعدما ارتحلوا من الجنوب إلى الشمال، فانفصلوا عن اللغة الجنوبيّة القحطانيّة، وهذه الأخيرة كانت قد اختلطت مفرداتها بمفردات من فارس والحبشة بسبب الأوضاع السياسيّة.

ولهذا فإنّه من الخطأ اتّهام المستشرقين ومن والاهم للشعر الجاهلي بأنه موحّد اللغة وصيغ بلغة قريش رغم أن أصل الشعراء مختلف بين القبائل، وضربوا مثالا على ذلك بامرىء القيس قائلين بأنّه يماني الأصل، فكيف يقول أشعارا عدنانيّة؟ وهذا ما كان جوابه في كتاب <<العمدة>> قبل ألف سنة؛ أنّ امرأ القيس يماني النسب نزاري الدار والمنشأ.[2] ولذلك فإنّه لاجدوى من الاعتماد على هذه القضية في التشكيك في أصالة وصحة الشعر الجاهلي، بعد أن حلّت بالتاريخ والدليل.

3-4- الرد على قضية تدوين الشعر الجاهلي

إنّ تصوّر (مرجليوث) لفكرة أنّ العرب لم يعرفوا الكتابة بدليل أنه جاء في القرآن:﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾[3]، قد يكون ضربا من عدم الفهم أوالجهل بمصادر التفسير القرآنية الإسلامية، لأنّه كما يقول (محمد مصطفى هدارة):<< وعدم وجود كتاب سماوي مكتوب بين يدي العرب لا يعني عدم معرفتهم الكتابة، ولا أنّهم لم يدوّنوا أشعارهم وعهودهم، فمن السذاجة العلمية الربط بين الأمرين، وفي ذلك يقول المستشرق <<برونلسن >> في رده على << مرجليوث >>: << إنّ المقصود ليس امتلاك أيّ نوع من

[1]- شوقي ضيف، مرجع سابق، ص167.

[2]- ينظر، مصطفى صادق الرافعي، تحت راية القرآن المعركة بين القديم والجديد، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، د ط، 2002، ص206، 207.

[3]- ينظر، ديفيد صمويل مرجليوث، أصول الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص30.

الكتب، وإنما كتبٌ يتّفق مضمونها مع القرآن، أوعلى الأقل، يمكن مقارنتها به>> >>[1]، كما وأنه حسب رأي (ناصر الدين الأسد) لا ينبغي الشكّ بأنّ العرب الذين كانوا قد دوّنوا وقيّدوا بالكتابة دينهم ورسائلهم وعهودهم وصكوكهم أن لايقيّدوا شعرهم، وهوبتلك المكانة عندهم والجلال، فهو ديوان أمجادهم وأحسابهم، وسجل مفاخرهم وانتصاراتهم[2].

لكنّ هذه القضيّة لم تحسم بين الأدباء العرب، فهاهو(شوقي ضيف) يرى بأنّ العرب في الجاهلية وحتّى صدر الإسلام لم يقيّدوا شعرهم، وإنّما ينشدونه شفاهة وانتقل بالشفاهة أيضا، حتى جاء عصر التدوين[3]، أمّا (يحي وهيب الجبوري) فيقول في هذه المسألة ردّا على (مرجليوث):<< إنّ (مرجليوث) بطبيعة عقليته الأوروبيّة لايستطيع فهم طبيعة الحياة العربية التي كانت ومازالت متوارثة، وهي أنّ الشعر يُحفظ أكثر ممّا يُكتب، ومازلنا نرى الأميّين من الشعراء والناس يحفظون الشعر والأخبار، والشعر أساس ثقافتهم>>[4].

ومنه فإنّه ليس بالغريب ولا المستنكَر أن ينتقل الشعر بالرواية والشفاهة حتى عصر التدوين، حيث تناوله القدماء وعرضوه على نقد شديد، من حيث رواته وصيغه وألفاظه، ولذلك كان ينبغي أن لايبالغ المحدثون من أمثال (مرجليوث) في شكّهم حتّى

[1]– محمد مصطفى هدارة، مرجع سابق، ص 406، 407.

[2]– ينظر، ناصر الدين الأسد ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف،القاهرة،مصر،ط5، ص109.

[3]– ينظر، شوقي ضيف، مرجع سابق، ص159.

[4]– يحي وهيب الجبوري، مرجع سابق، ص83.

ذهبوا إلى إنكاره تماما ورفضه، فلاسبيل لإنكار أن هناك شعرا منتحلا، لكّننا كما يقول (شوقي ضيف) نثق فيما وثّقه العلماء القدماء الثّقات والرواة بعد تدقيقهم له، ونشكُّ ونضع ماوضعوه منه[1].

4- موقف طه حسين من الشعر الجاهلي

ألّف (طه حسين) كتابا في<< الشعر الجاهلي>> عام 1926م، وسرعان ما أثار ضجّة واسعة في الساحة الأدبية والدينية كذلك، وذلك بسبب الآراء التي يحملها ثم أعاد المؤلّف طبع كتابه عام 1927م، بعد أن حذف منه فصلا وأضاف فصلا بعنوان << في الأدب الجاهلي>>[2]، الكتاب يحمل الصبغة التشكيكيّة بل والإنكار للشعر والشعراء الجاهليّين، حيث يقول فيه :<< ذلك أنّ الكثرة المطلقة ممّا نسميه شعرا جاهليّا ليست من الجاهلية في شيء، وإنّما هي منتحلة مختلقة بعد ظهور الإسلام>>[3]، وهكذا ألقى (طه حسين) كلمته هذه والتي كان لها وقع شديد، وحركّت أقلاما عربية كثيرة ضده، وكان قد عرض دوافع شكّه كالآتي:

- الشعر الجاهلي شعر خال من تصوير الحياة الوثنية والعقلية والاقتصادية والسياسية لذلك العصر، وإنّما يصور الحياة الإسلامية أكثر منه إلى الجاهلية.

- عدم الثقة والشك في الرواية الشفوية.

- ورود العديد من الألفاظ القرآنية في ما يسمى الشعر الجاهلي.

- عامل اختلاف اللهجات.

---

[1]- ينظر، شوقي ضيف، مرجع سابق ص175، 166.

[2]- ينظر، أنور الجندي،المساجلات والمعارك الأدبيّة في مجال الفكر والتاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص102.

[3]- طه حسين، في الشعر الجاهلي، دار المعارف، سوسة، تونس، ط2، 1998، ص19.

– اللغة التي قيل بها هذا الشعر وزعم الرواة أنها قيلت من ذلك العصر[1].

وبدوافع الشك هذه التي طرحها (طه حسين) يرى (شكيب أرسلان)، بأن المؤلف في آرائه هذه ومنطقه المقلوب ماهو إلا مقلّد للمستشرق (مرجليوث) أولغيره من الأوروبيّين، وذلك لأنه تحت تأثير عقيدة سخيفة ولكنها منتشرة في الشرق، ألا وهي أنّ الأوروبي لا يخطئ أبدا[2].

وللردّ على (طه حسين) تحديدا حول قضية أنّ الشعر الجاهليّ لا يمثل الحياة الدينية لذلك العصر[3]، يقول << الأستاذ محمد لطفي جمعة فقد وجد أنّ خير ردّ على الدكتور طه أن يجمع بعض الشعر الجاهلي الذي يشير إلى الحياة الدينيّة في الجاهليّة، فجمع طرفا منه لشعراء متعدّدين، ثم قال:<< من العجيب أنّ المؤلف يدّعي أنّ الشعر الجاهلي كله عجز عن تصوير الحياة الدينية، وهولم يتقدم إلينا بدليل ولم يستقرئ دواوين الشعر الجاهلي>> >>[4].

وليس من الناحية الدينية فقط، إنّما من كل نواحي الحياة، وهذا ما يقوله (شوقي ضيف) حيث يؤكد أنّ ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي قد صوّر ووصف جوانب الحياة الجاهليّة وأيامها وأحداثها، بل وعلاقات القبائل ببعضها، وبملوك الحيرة والغساسنة، كما صوّر لنا البيئة الجغرافيّة[5].

---

[1]– ينظر، فاطمة فاتح، مرجع سابق، ص148.

[2]– ينظر، محمد مصطفى هدارة، مرجع سابق، ص398.

[3]– ينظر، طه حسين، في الشعر الجاهلي،مرجع سابق، ص31.

[4]– ناصر الدين الأسد، مرجع سابق ، ص412.

[5]– ينظر، شوقي ضيف، مرجع سابق، ص 177 ،178.

ويضيف (طه حسين) متحدّثا عن طريقته في البحث والتحقيق، << ذلك هوالبحث الفني واللغوي، فينتهي بنا هذا البحث إلى أنّ هذا الشعر الذي ينسب إلى أمرىء القيس أو إلى الأعشى أوإلى غيرهما من الشعراء الجاهليّين لا يمكن من الوجهة اللغوية والفنية أن يكون لهؤلاء الشعراء، ولا أنّ يكون قد قيل أوأذيع قبل أن يظهر القرآن>>[1].

لكن (مصطفى صادق الرافعي) يضعف هذا التفسير الذي يقدّمه (طه حسين) كحجّة تطعن في الشعر الجاهلي ووجوده، فيقول:<< وكان جديرا بمن يقول الفني واللغوي أن يدلّنا على نمط كل شاعر وطريقته ومذهبه وعمود شعره وأسباب التوليد عليه بخاصّته ووجوه الصنعة في كلامه وأن يعيد لنا من علمه الواسع ذلك العهد الأول الذي يقول فيه الرواة لم يصح لامرئ القيس إلاّ كذا، ولم يصح لطرفة وعبيد إلا كذا، وهذه الأبيات وضعها فلان أوزاد فيها فلان>>[2].

وواصل (الرافعي) نقده لطريقة طرح (طه حسين) لموضوعه << قلنا: ففي أيّ شيء هذا الكتاب إذن ما دام<< الإيجاز الشديد وإيثار الإيجاز والحرص على الإيجاز>> هوأساس البحث الفني واللغوي فيه، على حين أن الكتاب هو البحث وكل ما عداه حشو واستعانة وأن امرأ القيس لا يمحى من التاريخ <<بالإيجاز الشديد>>، ومهلهلا لا يكون من رجال الأساطير<< بالحرص على الإيجاز>>... وماذا يغني عنك– ويلك– أن تجمع

[1]– طه حسين، في الشعر الجاهلي ،مرجع سابق، ص21.

[2]– مصطفى صادق الرافعي، المعركة تحت راية القرآن ،مرجع سابق، ص205.

لحرب أمّة مصانع كروب ومدافعها ومخترعاتها- عدة ملايين من المقاتلة إذا لم يكن لديك إلا بضعة مدافع بالإيجاز الشديد...؟ ألا تستحي يا طه أن تسقط بالجامعة هذا السقوط كله؟>>[1].

5- تحليل محمد محمود شاكر لقضية فساد الشعر عند ابن سلاَّم

لقد تأثّر بهذه الحملة الاستشراقية ضدّ الشعر الجاهلي بعض الأدباء العرب والذي كان أبرزهم كما ذكرنا(طه حسين)، حيث نفى أي وجود لهذا الشعر[2]، كما كان (عبد الرحمان بدوي) من أبرز المناصرين العرب لهذا اليقين في فساد الشعر الجاهلي، وألّف كتابا جمع فيه مقالات لمجموعة من المستشرقين أمثال (نولدكه)، (مرجليوث)، (جولدتسيهر) ... حول هذا الموضوع، وقام بترجمة هذه المقالات تحت عنوان رئيسٍ << دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي>>، وأشاد بجهودهم في هذا الشأن، ورأى بأنها قد نضّرت وجه البحث بإنكارها للشعر الجاهلي[3].

كما وأنّه دافع وبقوّة على (طه حسين) من الحملة الشعواء على حدّ قوله والتي شنّها عليه المدافعون عن أصالة الشعر الجاهلي بسبب كتابه<< في الشعر الجاهلي>>، وأسند (بدوي) دفاعه هذا بقوله: أنّ (محمد بن سلاّم الجمحي) هو الذي شكّ في شعر الجاهليّة وَوَضْعِهِ فلا داعي لاتّهام (طه حسين)[4].

وبما أنّ هذا الكلام هوالذي جعل منه المشكّكون من أمثال (بدوي) عكَّازًا يتكئون عليها كدليل في الطعن في الشعر الجاهلي، فقد انبرى للدفاع عن هذه الجبهة بالذات

---

[1]- مصطفى صادق الرافعي، المعركة تحت راية القرآن ،مرجع سابق، ص 206,205.

[2]- ينظر، فاطمة فاتح، مرجع سابق، ص147.

[3]- ينظر، محمد مصطفى هدارة، مرجع سابق، ص399.

[4]- ينظر، عبد الرحمان بدوي، مرجع سابق، ص05.

(محمود محمد شاكر) في كتابه << قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم>>، حيث قام بشرح مستفيض لكلام (ابن سلاّم)، وأسهم في كشف اللّثام حول هذه القضية، كما وأنّه قد وضع في كتابه هذا أفكارا ومعلوماتِ لم تنشر من قبل[1]، وكان هذا هوقول ابن سلاّم الذي حلّله وقام بتفسيره:<<... في الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لاخير فيه>>[2].

يقول (محمود محمد شاكر):<< فمعنى قوله:<< وفي الشعر مصنوع مفتعل...>> هوفي الحقيقة << وقد دخل بعضَ هذا الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لاخير فيه>>، ويبقى إذن لفظ (الشعر) على بديهته المعروفة، ويبقى أيضا أنّه لايجعل هذا المصنوع <<شعرا>> لأنّه بيّن بعدُ أنّه << ليس بشعر، بل هوكلام مؤلف معقود بقوافٍ، وهوليس قسما من<< الشعر>> ولايقع عليه هذا اللفظ وقوعا صحيحًاعند ابن سلاّم >>[3]. بالتالي فهو قد قدّم تفسيرا منطقيا لمقولة (ابن سلاّم)، حتى لايجعلها المشكّكون سندًا لشكّهم وتكذيبهم للشعر الجاهلي، فأقام بعض العبارات التي جاءت في كتاب(طبقات الشعراء) فيما يخصّ قضية الانتحال، وشرح بالدراسة العقليّة ما أفسده التعبير[4]، وبالتالي نفهم من قول (ابن سلاّم) أنّ الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا اليوم هوثلاثة أنواع:

<< الأول: شعر<< صحيح>> يعرفه أهل العلم والرواية الصحيحة عن أهل البادية، وهوقائم بذاته على حياله، في هذه الكتب.

الثاني: شعر<< صحيح>> يعرفونه أيضا، ولكنه خلط بغثاء مصنوع ليس بشعر، وإنما هوكلام مؤلف معقود بقوافٍ.

---

[1]– ينظر، نجلاء أحمد محمد المالكي، قضية الانتحال في الشعر الجاهلي، الآداب والعلوم الإنسانية، اللغة العربية وآدابها، المملكة العربيّة السعودية، 2019، ص778.

[2]– محمد بن سلاّم الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، دط، 2001، ص26.

[3]– محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلاّم، دار المدني، جدة، دط، دس، ص80.

[4]– ينظر، نجلاء أحمد محمد المالكي، مرجع سابق، ص778.

الثالث: غثاء مصنوع، ليس بشعر، كثير لاخير فيه>>[1]، وهذا ماشرحه ووضّحه (محمود محمد شاكر)، وبقوله هذا وضحت قضية فساد الشعر الجاهلي، ووضّح ماكان يقصده (ابن سلاّم) باعتباره من القدماء والثّقات الذين يُعتدُّ بقولهم وحُكمهم في هذا المجال.

6- موقف جيمس تشارلز ليال J.Charles layall

إذا كان هناك من المستشرقين من شكّك في الشعر الجاهلي أو في بعضه، أوأنكر وجوده تماما، فإنّ هذا لا ينفي وجود مستشرقين سحروا بهذا الشعر، بل ودافعوا عن قيمته ووجوده، ومن هؤلاء نذكر المستشرق (جيمس تشارلز ليال)، الذي تناول موضوع صحة الشعر الجاهلي والرواية على ضوء دراسته لشعر (عبيد بن الأبرص)، وبيّن أهمية هذا الشعر بالنسبة للقبائل لأنّه هو الذي يسجّل انتصاراتها، وأنّه ليس من الغريب أنّ الذاكرة العربية قد حفظت كل هذا الكمّ من الشعر حتى عصر التدوين، فهذا أمر وارد في الأمم الأخرى، مثل الأدب الهندي الذي وصل إلينا قبل قرون سابقة من عصر التدوين[2]، ويورد (ليال) أدلته على أصالة الشعر الجاهلي وهي كالتالي:

1- شعراء القرن الأول الهجري الفرزدق وجرير والأخطل وذو الرّمة كانوا قد ساروا على نفس نهج أجدادهم؛ شعراء العصر الجاهلي، واتّبعوا تقاليدهم في الشعر[3]، ممّا يدلّ على معرفتهم بوجود شعر وشعراء جاهليّين.

---

[1]- محمود محمد شاكر، مرجع سابق، ص78، 79.

[2]- ينظر، يحي وهيب الجبوري، مرجع سابق، ص40.

[3]- ينظر، رشدي ضيف، عمر عيلان، مكانة الشعر الجاهلي عند بعض المستشرقين، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد9، عدد4، تبسة، الجزائر، 2020، ص365.

2- تفرّد القصائد الجاهلية بشخصية واحدة لكل شاعر، فالمعلقات السبع مثلا تظهر لنا سبع شخصيات ذات خصائص واضحة ومميّزة، والأمر كذلك بالنسبة للقصائد الثلاث الباقية التي عدّها بعض النقّاد من المعلقات.

3- الشعر القديم مليء بالألفاظ الغريبة على العلماء، الذين كانوا أوّل من تعرّض لنقدها، والتي كان يظهر بأنّها كانت تنتمي لعصر أقدم من عصرهم[1].

ومن كل هذه الأقوال والآراء يمكننا أن نستخلص أنّ الشعر الجاهلي يرقى رغم كل التشكيك الذي حاكه حوله المستشرقون وكذا المستغربون- يرقى- أن يعتبر تراثا عربيّا أدبيّا موثوقا فيه، وأمّا ما انتحل منه وضعف خبره فقد بيّنه القدماء وهم من هم بمعرفة اللغة والعلم بالعربيّة وألفاظها، ومع ذوقهم النّقدي، وقاموا بغربلته وفرزه بين موثوق وموضوع، وحلّوا هذه القضية قبل وجود (مرجليوث) و(طه حسين) بعصور طويلة.

[1]- ينظر، ناصر الدين الأسد، مرجع سابق، ص372، 373.

الفصل الثاني

محور العقيدة

الإسلاميّة القرآن

أولا: التشكيك في مصدر القرآن

1- القرآن اقتباسات من الديانات السابقة

1-1- التشابه في الأحكام والشرائع

1- 2- التشابه في القصص

1-3 قضية الراهب بحيرى

2-القرآن عبارة عن اقتباسات من التراث الأدبي

2-1- القرآن اقتباسات من شعر أميّة بن الصّلت

2-2- القرآن اقتباسات من شعر امرئ القيس

ثانيا: التشكيك في ثبوتية النص القرآني

1- قضية جمع وتدوين القرآن عند المستشرقين

2- شبهة اضطراب النصّ القرآني

2-1- القراءات القرآنية عند المستشرقين

توالت دراسات المستشرقين وتعدّدت حول دائرة البحث الإسلاميّة منذ قرون خلت إلى يومنا هذا، ورغم شعارات الموضوعيّة والمنهجيّة العلميّة التي يعتزّ بها الباحث الأوروبي أثناء دراسته للأديان والحضارات الأخرى، فإنّ غالبيّة المستشرقين عندما يتعلق الأمر في البحث حول الإسلام نراهم يبتعدون عن هذه الموضوعيّة كل البعد[1].

ورغم وجود جهود كبيرة لا يمكن إنكارها، ورغم عدد من المستشرقين ممّن تحلّى بالموضوعيّة والإنصاف، لكنّ هذا لم يمنع من اكتساب الاستشراق لسمعته السيّئة[2]، والتي تجعل منّا متوجسّين دوما في الأخذ من معارفهم وكتبهم حول الإسلام ومايخص الأمة العربيّة من ديانة أولغة أوحضارة أوتاريخ.

ويرى (عبد الجبّار ناجي) بأنَّ بداية الاهتمام الاستشراقي بالبحوث الإسلامية تمتدُّ جذوره إلى العصور الوسطى، وفي فترة سيطرة الكنيسة على أوروبا، والتي وجّهت العقول والأقلام إلى حملات تشويهيّة ضّد الإسلام، بغية الحدّ من توسّعه، وبذلك نسبوا للإسلام والمسلمين كل كذبة وكل خرافة والتي غالبا ماكان الرهبان هم حاملو أقلام التشويه ،كما زادت شرارة هذه النَّار بعد قرع طبول الحروب الصليبيّة، وباعتبار أنَّ القرآن هوالكتاب المقدّس عند المسلمين، والمصدر التشريعي الأول لهم؛ فقد تعرّض لهجومات كلاميّة عنيفة[3]، ويمكن طرح أهم الشبهات التي ذكرها المستشرقون في بحوثهم حول القرآن الكريم:

أولاً: ادّعاء بأنّ القرآن عبارة عن اقتباسات لما قبله من الديّانات ومن التراث الأدبي.

ثانيا: التشكيك في ثبوتيّة النّص القرآني.

---

[1] – ينظر، عرفان عبد المجيد، ص3.

[2] – ينظر، محمد حسن زماني، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، تر، محمد نور الدين عبد المنعم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1 ،2010، ص 49.

[3] – ينظر،عبد الجبار ناجي ، ، ص 244,243.

القرآن الكريم هو دستور هذه الأمّة الإسلاميّة، ومصدر أحكامها وتشريعاتها الأوّل، والكتاب الذي يؤمن كل مسلم بصدق ماجاء فيه، إيمانّا قاطعا لا شكّ فيه، ونؤمن جميعا بوصفنا مسلمين بأنّه تنزيل من عند الخالق، يقول تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾[1].

وبما أنّ دوافع واهتمامات الاستشراق الأولى والمتواصلة كانت زعزعة كيان الأمّة الإسلاميّة، والقضاء على هويتنا الدينيّة، فقد انصبّت جهودهم حول القرآن، والقرآن هو:<< كلام الله، المنزّل على قلب محمّد صلّى الله عليه وسلم، بواسطة الوحي- روح القدس- منجَّما في شكل آيات، وسور خلال فترة الرسالة (ثلاث وعشرين سنة) ، مبدوءًا بفاتحة الكتاب، مختومًا بسورة الناس، منقولاً بالتواتر المطلق، برهانًا معجزًا على صدق رسالة الإسلام>>[2]، وهذا هوتعريف القرآن عند العلماء المسلمين، وأمّا الشبهات حوله من المستشرقين فتتمثل في:

أولا: التشكيك في مصدر القرآن

إنَّ إصدار الأحكام دون بحث عميق، ودون علم وإحاطة بالموضوع لأسوء صفة قد يتّصف بها أيّ باحث في أيّ مجال، وخاصة مجال الديانات والعقائد، لكن فئة المستشرقين الذين حاولوا المساس بعصمة القرآن وتشويه الإسلام عموما، كانت لهم تلك النظرة الأولى المتوارثة من العصور الوسطى، وتلك الأحكام المسبقة والتي أدّت بهم إلى الخطأ في الإستنتاج وبثّ الشكوك في بحوثهم[3]، وبالتالي سيؤدّي بهم حتمًا مسار البحث الخاطئ إلى نتائج خاطئة، وبعيدة كل البعد عن الموضوعيّة .

---

[1] – سورة الحجر، الآية 09.

[2] – عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، نهضة مصر، الجيزة، مصر، ط 3، 2007، ص 23.

[3] – ينظر، محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله ، دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسته ابن خلدون، دار قتيبة، طرابلس، ليبيا، ط 1، ص 119، 120، 123.

1- القرآن اقتباسات من الديانات السابقة

1-1- التشابه في الأحكام والشرائع

اتَّهم المستشرقون القرآن الكريم بأنَّه ماهو إلا جمع لما جاء في الكتاب المقدس والمعتقدات السابقة، وفي هذا يقول المستشرق اليهودي (إيجناس جولدتسيهر): << فتبشير النبيّ العربيّ ليس إلاّ مزيجًا منتخَبا من معارف وآراء دينيّة، عرفها أواستقاها بسبب اتّصاله بالعناصر اليهوديّة والمسيحيّة وغيرها التي تأثّر بها تأثّرا عميقا، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينيّة عند بني وطنه >> [1] .

فلم ير هذا المستشرق في القرآن إلا مجموعة اقتباسات، ويأتي المستشرق الألماني (كارل بروكلمان) ليشكّك هوالآخر في صحة ومصدر القرآن فيقول عن محمد صلّى الله عليه وسلّم:<< وتذهب الروايات إلى أنّه اتّصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أمّا في مكّة نفسها فلعلّه اتّصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حدّ بعيد>>[2].

وبهذا التفسير الضعيف يفسر(كارل بروكلمان) ظاهرة القرآن دون حجّة أودليل عليه ملموس، بل بمجرَّد" تذهب الروايات"، "فلعله" اتّصل بجماعات من"النصارى"، أين التدقيق العلمي في جمع المعلومات؟ أين الوقائع الأدلة التي استند إليها بدل" لعل"؟، مع أنّ التاريخ الإسلامي مدّون وموثّق في كتب علميّة، إلّا أنّ (بروكلمان) وأمثاله من المستشرقين لايثقون في تدوين المسلمين، وهذا مايردده المستشرق(تيودور نولدكه) فيما

[1]- إيجناس جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، تر، محمد يوسف موسى وآخرون، تقديم، محمد عوني عبد الرؤوف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، د ط، 2013، ص12.

[2]- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر، نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1968، ص34.

يخصّ اقتباس القرآن من الكتاب المقدس، حيث يقول:<< لا لزوم للتحليل لنكتشف أنّ أكثر قصص الأنبياء في القرآن، لا بل الكثير من التعاليم والفروض، هي ذات أصل يهودي، أمّا تأثير الإنجيل على القرآن فهودون ذلك بكثير>>[1]، وهكذا حسب(نولدكه) لايحتاج الأمر للتحليل والبحث لمعرفة بأنّ القرآن متأثّرا أكبر تأثّره بالعهد القديم[2].

وهذا خطأ منهجيّ أن يعتمد الباحث في طرح آرائه على إلقاء الشبهة ولا يلجأ للدليل أوالتحليل، إنما يفسّرها بالبداهة التي يتخيلها هو، وبنفس الطريقة في البحث والتحليل<< ذهب المستشرق(لوت) إلى أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم مدين بفكرة فواتح السور مثل: حم، وطسم، كهيعص إلخ لتأثير أجنبي، ويرجّح أنّه تأثير يهودي>>[3].

وهكذا تتوالى التّهم جزافا، ظنّا وتخمينا وترجيحا، ولوأنّهم استغلوا جهودهم في محاولة الوصول للحقيقة لكان الأمر أسهل عليهم؛ بدل محاولة زرع الشك لأجل الشك فقط، فكانتّ اتّهاماتهم تسقط واحدة وراء الأخرى أمام ردود علماء المسلمين، وعلى هذه التهمة يردّ (محمد عبد الله الشرقاوي):<< ولودقّق هذا الأفّاك لعلم أنّ سبعا وعشرين سورة من تلك السور التسع والعشرين مكيّة، وأنّ اثنتين فقط من هذه السور مدنيّة، هما:البقرة وآل عمران>>[4].

فكيف تأثّر باليهوديّة وهم لم يبرح مكّة حينها ولم يهاجر إلى المدينة؟ فلوأنّه بحث عن مصادر معلوماته بدقّة لما وصل لهذه النتيجة البعيدة كل البعد عن الحقيقة، بل إنّ

---

[1]– تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، تر، جورج تامر وآخرون، تعديل ،فريدريش شفالي، مؤسسة كونراد–أدناور، بيروت، لبنان، ط 4، 2004، ص7.

[4] – ينظر، تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، المرجع نفسه، ص 07.

[3] –محمد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، ط1، 2016، ص 148.

[4] – محمد عبد الله الشرقاوي ،المرجع نفسه، ص 148.

الأدلة ضدّها، لكنّ هذه الفئة من المستشرقين جاؤوا من منطلق توارث الآراء[1]، ومحاولة نشرها، وإن أدّى بهم هذا الأمر إلى الخلط في المعلومات والوقوع في الهفوات،كحال المستشرق(ولهم رودلف) والذي يقول:<<إنّنا لمضطرّون أن نفترض أنّ اليهوديّة والمسيحيّة قد عرفتا السبيل إلى مكّة التي يعنينا أمرها كثيرا، لأنّها موطن محمد، وإن لم يكن ثمّ مايثبت أنّه كان بها يهود أومسيحيون في عهد محمد، ومن العسير أن نظن أنه كان بها كثير منهم، وإلاّ لاحتفظت لنا السيَر بأنباء أكثر إسهاما ممّا تناهى إلينا[2]>>.

وهذا هو الخلط في الكلام بعينه، (فرودلف) إذ لم يجد الدليل على وجود فئات يهوديّة أونصرانيّة موجودة في مكّة يمكن أن يقتبس منها –النبي صلّى الله عليه وسلم– تعاليم الإسلام، ويستعمل هذا كدليل على الاقتباس من الكتاب المقدّس، اقتصر على نفسه البحث وخرج بنتيجة لا تخضع للعلميّة ولا للبرهان وقال:<<إننا لمضطرون أن نفترض>>[3] كان عليه أن يتعلّم في مدارس الاستشراق العلمية أنّ الخوض وخاصّة في مسائل المعتقدات الدينيّة لا يكون بالإفتراض، ولا الاضطرار إليه حينما تغيب الحجة ويغيب الدليل العلمي، وإنّما يكون بالبحث أكثر والتدقيق في العمل والتخليّ عن الافتراضات السابقة.

وبرّر(جولدتسيهر) رأيه في موضوع الاقتباس القرآني قائلا: <<والوحي الذي نشره محمد في أرض مكّة لم يكن ليشير إلى دين جديد، فقد كان تعاليم واستعدادات دينيّة نمّاها في جماعة صغيرة، وقوّى في أفراد هذه الجماعة، فهمًا للعالم مؤسّسا على الحكم الإلهي، ولكن لم يحدد تحديدا دقيقا حينئذ، أشكال هذا الحكم أومذاهبه>>[4]، ويرمي بقوله هذا إلى

---

[1] – ينظر، محمد فتح الله الزيادي، مرجع سابق، 120.

[2] – إسماعيل علي محمد، مرجع سابق، ص 196 ،197 .

[3] – المرجع نفسه، ص196.

[4] – إيجناس جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، مرجع سابق، ص 17.

زرع فكرة أن الإسلام قد بدأ ضعيفا في دعوته وأحكامه بسبب غياب التعاليم النصرانيّة واليهوديّة في مكّة، وفي قوله هذا بالتحديد يرد عليه(محمد الغزالي) قائلا: << هذا الكلام جهالة وتخليط، فإنَّ أهل مكّة الذين يعرفون النصرانيّة جيّدا قالوا لمّا سمعوا دعوة الإسلام: ﴿ماسمعنا بهذا في الملّة الآخرة﴾، أي أنَّ ماقرع أسماعهم هوشيء جديد غير معهود في الديانات الوثنيّة والكتابيّة المحرّفة، وذلك حقّ، فإن التوحيد المطلق المنكر للبنوّة والولاة، الرافض لتسوية أي مخلوق بالله، كان شيئا جديدا>>[1].

فإذا كان الإسلام معارضا لليهوديّة والنصرانيّة ولجميع الوثنيات في أهمّ أسسه، وجاء داعيا للتوحيد منكرا للخرافات؛ فكيف يكون قد اقتبس منهم ماجاء به؟، بل إنّ المستشرق(بلاشير) يغالي في هذه المسألة بقوله هذا:<< ولقد يجدر بالذكر أنّ نصوص هذه الفترة الأولى، لم تسلّط الأضواء على إثبات عقيدة أساسيّة في الإسلام: ألا وهي وحدانية الله. بل يبدوأنّ سورة النجم(19_25) تحتوي على آثار تردّد في شجب عبادة ثلاث من ربات Déesses المكيّين>>[2].

وهذا في اتّهام صريح بأنّ القرآن في بداية نزوله كان متأثّرا بتعدّد الأوثان وتعدّد الآلهة، وهذا مايذهب إليه أيضا المستشرق (مونتجمري واط) بتأكيده لصحّة القصة المدسوسة؛ قصة الغرانيق[3]، ويعلّق مترجم كتاب "القرآن" (لبلاشير)، (رضا سعادة) على هذه القصة قائلا: <<الدعوة للوحدانيّة مقصد جوهري رافق الوحي منذ انبثاقه، إذ نراه في طلائعه كسورة العلق والفاتحة والمدّثّر، وأمّا الذين افتروا قصة الغرانيق وزعموا أنَّ رسول

[1] – محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، نهضة مصر، مصر، ط7، 2005، ص 23,22.

[2] – بلاشير ، القرآن نزوله ، تدوينه ، ترجمته وتأثيره ، تر ، رضا سعادة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1974، ص 51.

[3] – ينظر، محمد عبد الله الشرقاوي، مرجع سابق، ص 139.

الله تلا جملتين:(تلك الغرانيق العلى، وإنّ شفاعتهن لترتجى) بعد آيات (أفرأيتم اللاَّت والعزَّى) من سورة النجم؛ أمّا هؤلاء فقد فاتتهم هذه الملاحظة >>[1].

ويرد (إسماعيل علي محمد) فيما يخصّ هذا الشأن: <<إذا كان الإسلام–كما يزعم المستشرقون–فرعا منبثقا من اليهوديّة والنصرانيّة، وملفّقا من كليهما: فهل جاءت عقائده وتشريعاته مماثلة لعقائد وتشريعات كل منهما، أم مخالفة لها ومناقضة؟>>[2]، والواقع أنّ الإجابة على هذا معروفة، ويؤكّدها لنا (محمد عبد الله الشرقاوي) بقوله :<<وبما أنّ الإسلام قد جاء بعقيدة التوحيد الخالص التي تصادم تماما العقيدة النصرانيّة، والتجسيم اليهودي، وكذلك الحال بالنسبة للعبادات والأخلاق والتشريعات في المعاملات فقد جاءت مخالفة لها على الإجمال والتفصيل ... فلا مجال إذا لمثل هذه الدعوى المتهافة الساقطة>>[3].

وهذا الرأي يفصل فيه (محمد الغزالي) ، حيث يقول إنّ التوراة التي بين يدي اليهودي اليوم لم تتحدث عن الدار الآخرة، فهل استمدّ القرآن أخذ كلامه عن الآخرة والحساب والجنان والعذاب منها؟، والنصرانيّة ماهي إلا عقيدة وليست شريعة، فهل استمدّ القرآن شرائعه وأحكامه منها؟، وهل الوحدانية كان قد اقتبسها القرآن من التثاليث الكنسيّة، أم من الأوصاف البشريّة لله عزّ وجلّ في العهد القديم[4]، فإذا كان الاختلاف في هذه الديانات الثلاث في الأسس والعقائد، فكيف اقتبس محمد –صلّى الله عليه وسلم– دينا كاملا من أهل الكتاب، وهويختلف عمّا جاء عندهم؟.

[1] – بلاشير، مرجع سابق، ص 51.

[2] – إسماعيل علي محمد، مرجع سابق، ص 201.

[3] – محمد عبد الله الشرقاوي، مرجع سابق، ص 134.

[4] – ينظر، محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، المرجع السابق، ص57.

1- 2- التشابه في القصص

أمّا من ناحية بعض التشابهات في القصص الموجودة في القرآن والكتاب المقدس، فيقول (محمد علي إسماعيل):<< وإنّما هذا التشابه مردّه إلى وجود بقايا من الوحي كتبها كتَّاب العهد القديم في عصور مختلفة، غير أنّ هذه القلّة القليلة توارت خلف ركام الباطل، وتلاشت في ثنايا موجات التحريف كما تتلاشى قطرات الماء العذب الفرات في وسط البحر الملح الأجاج، ولم يبق لدى القوم من الوحي إلا رسوم وأشكال مملوءة بالزور والأباطيل>>[1].

وهذا مايفسّر التشابه في الأحداث، رغم اختلاف الجوهر وطريقة سرد الحدث والإحاطة به، فكلها ديانات سماويّة، لها مصدر واحد وهوالوحي الإلهي، وهذا مايؤكده(محمد الغزالي) بقوله:<< قد يكون هناك تشابه بين تعاليم الإسلام والديانات السماويّة الأولى.. ولاغرابة في ذلك، فالله الواحد، مصدر كل هذه التعاليم، وأصول الحقّ لاتختلف مع اختلاف الأعصار والأمصار>>[2].

إضافة إلى أنّه ليس هناك من إشكال كما يقول(سامي عامري) في هذه التشابهات القليلة التي بين قصص القرآن والتوراة، لأنّ القرآن لاينكر الأصل الربّاني لها، وإنمّا يثبت عليها ما لحق بها من تحريفات أرضيّة أدّت إلى فساد هذه العقيدة، إذن فالمسألة مسألة موافقة لامسألة اقتباس[3]، كما أنّها ليست تلك التشابهات التي ترقى أن يستمدَّ منها القرآن ماجاء به من قصص وأحداث، وذلك حسب (إسماعيل محمد علي) لوجود اختلاف شاسع

---

[1] – إسماعيل علي محمد، مرجع سابق، ص 211.

[2] – ينظر، محمد الغزالي، مرجع سابق، ص 58.

[3] – ينظر، سامي عامري، هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى ؟ ، مبادرة البحث العلمي لمقارنة الأديان، د ب ، د ط ، 2010، ص181.

من ناحية الأسلوب؛ فركاكة ماكتب في العهد القديم لايشبه في شيء فصاحة القرآن وجمال أسلوبه، وكذلك بالنسبة للمضمون؛ فهناك اختلافات جوهرية كبيرة:

1- الاختلاف في وصف الذات الإلهيّة .

2- الاختلاف في الحديث عن الملائكة .

3- قصص العهد القديم مليئة بالأكاذيب والخرافات .

4-الاختلاف في حديث القرآن والكتاب المقدس حول عصمة الأنبياء[1].

1-3 قضية الراهب بحيرى

ولقد كانت فكرة اقتباس القرآن من الديانات والمعتقدات السابقة فكرة قديمة متجدّدة، حتى صارت عندهم حقيقة علميّة لاجدال فيها منذ أن أثارها لأول مرة (يوحنّا الدمشقي) وهوأحد قدّيسي الكنيسة، والذي زعم أن محمدا –صلى الله عليه وسلم–قد حاور راهبا أريوسيّا، ثم مالبثت هذه التهمة أن توسّعت، حتى أصبحنا نسمع أنّ القرآن ماهوإلا تلفيق من مصادر يهوديّة ونصرانيّة ومجوسيّة، وحتى هندوسيّة وفرعونيّة[2]، وكأنّ هذا القرآن يمكن أن يكون أيّ شيء، ومن أيّ مصدر، إلّا من مصدر إلالهى سماويّ.

ثم ذاعت حتى القرون الوسطى على أيدي (بطرس المبجّل) و(بطرس الطليطلي)، ودخلت هذه الفرية إلى المنصّات الأكاديميّة في القرن السابع عشر على يدي المستشرق اليهودي الألماني (أبرهام جايجر) في كتابه «ماذا أخذ محمد من اليهوديّة»[3]، ومن بين أكثر القصص التي يردّدها المستشرقون في الطعن في مصدر القرآن والتعاليم الإسلامية

[1] – ينظر، إسماعيل علي محمد، مرجع سابق، ص206، 211، 219,222، 226.

[2] – ينظر، سامي عامري، مرجع سابق، ص 35، 36.

[3] – سامي عامري، المرجع نفسه، ص 36، 37 .

ترديدهم لقصة(الراهب بحيرى)، وتعليمه للنبيّ–صلى الله عليه وسلم–التعاليم الدينيّة[1]، وفي ذلك يقول(بلاشير):<< كان في الواقع قد تلقّى تعاليمه من راهب خارج عن العقيدة القويمة>>[2].

إنّ هذا قول من لاحجّة له ولا مقصد في البحث إلا التشويه والدس المتعمّد، فكما يقول (ساسي سالم الحاج) فإنّ هذا الراهب لم يكن له أثر في التاريخ لولم يذكره مؤرخوا السيرة النيويّة، والرسول– صلى الله عليه وسلم– لم ير(بحيرى) إلا مرَّة واحدة وهوطفل في الثانية عشر من عمره أثناء سفر له مع عمّه في تجارته، فكان أن لاحظ هذا الراهب علامات النبوّة على محمد–صلى الله عليه وسلم–وحذر عمّه من كيد اليهود له، ولم يسافر بعدها عليه الصلاة والسلام للتجارة إلاّ مرة واحدة بعد أن أصبح شابا، وذلك في تجارته لخديجة – رضي الله عنها– واتّفقت الروايات على عدم مروره ببحيرى هذه المرة[3]، وتسقط هذه الشبهة كما تسقط كل شبهاتهم التي يلقونها تعصّبا ومقتا وتشويها لرسالة الإسلام.

أن يبدع المرء دينا جديدا كامل الأحكام والتشريعات ليس أمرا ميسّرا، وإن كان ذا ثقافة وعلوم واسعة، و<<إنّ الثابت من سيرته صلى الله عليه وسلم أنّه كان أميّا لايقرأ ولا يكتب>>[4]، فكيف ينشىء ديانة جديدة تستمر لقرون، لكن فئة كبيرة من المستشرقين كما رأينا تحاول إثبات تهمة الاقتباس، و كما يقول (عبد الرحمان بدوي) :<< <<ولكي نفترض صحة هذا الزعم، فلابد أنّ محمّدا كان يعرف العربيّة والسريانيّة واليونانيّة، ولابد أنه كان لديه مكتبة عظيمة اشتملت على كل نصوص التلمود، والأناجيل المسيحيّة، ومختلف كتب الصلوات وقرارات المجامع الكنسيّة، وكذلك بعض أعمال الأدباء اليونانيّين، وكتب

---

[1] – ينظر، إسماعيل علي محمد، مرجع سابق، ص 199.

[2] – بلاشير، المرجع السابق، ص 12.

[3] – ينظر، ساسي سالم الحاج، مرجع سابق، ص 281، 282 .

[4] – إسماعيل علي محمّد، مرجع سابق، ص 197.

مختلف الكنائس والمذاهب المسيحية>>، إنّ التاريخ يخبرنا أنّ ذلك الزمان لم يعرف رجلا من أهل الكتاب أنفسهم، يحمل هذه العلوم الجمّة، بسعته ودقتها وتلوّنها!>>[1]، إذا كان هذا مايعين على الإحاطة بمجموعة من الأديان وجمعها وفرزها وترجمتها<< فكيف يستقيم هذا الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم الأميّ الذي لم يقرأ كتابا، والذي عاش في بيئة لاتعرف المكتبات والمؤلفات الميسّرة للطالبين>>[2].

وهكذا لانرى دليلا واحدا قد يطرحه المستشرقون في محاولة منهم لإثبات ظنونهم في قضية الاقتباس القرآني، بل العكس من ذلك، فكيف يفسرَّون أنّه << لم يترجم الإنجيل إلى اللغة العربية حتى القرن العاشر الميلادي ولذلك فليس هناك أيّ عربي حتى سنة 1000 لديه الفرصة لفحص الكتابات المسيحيّة الإنجيليّة بلغته العربيّة >>[3]، فهل يعقل أنّ محمدا– صلى الله عليه وسلم–العربيّ قد أحاط باللّغات التي كتب بها الإنجيل حينذاك، وهو لايعرف حتّى الكتابة بالعربيّة!.

كما أكدّ (سامي عامري) على غياب أي دليل مادي على وجود ترجمة عربيّة للكتاب المقدّس زمن البعثة النبويّة، كما أنّ اعتماد أقدم الترجمات العربيّة لأسفار الكتاب المقدس على اللغة اليونانيّة والسريانيّة والقبطيّة يدلّ على غياب ترجمة عربيّة يُستنسخ منها، فلقد تمّت أول ترجمة عربيّة للتوارة في القرن العاشر فقط[4].

وبعد كل هذه الأدلة العلميّة التي طرحها العلماء المسلمون حول دحض شبهة المستشرقين المتمثّلة في اتّهام القرآن بالاقتباس والأخذ من الكتاب المقدّس، يمكن إضافة أدلة أخرى لمن لايريد الاقتناع منهم، بل ويمكن لهذه الأدلة الموثّقة أن تقلب الموازين

---

[1] – ينظر، سامي عامري، مرجع سابق، ص 60، 61.

[2] – سامي عامري، المرجع نفسه، ص 181.

[3] – أحمد ديدات، القرآن معجزة المعجزات، تر، علي عثمان، المختار الإسلامي، د ب، د ط، د س، ص22.

[4] – ينظر، سامي عامري، مرجع سابق، ص161، 194.

حول القضيّة وفي هذا الموضوع يقول الناقد (نورمان أ.ستيلمان) :<< بإمكاننا أن نقرّر اليوم في ضوء ذلك أنّه في بعض الأحيان التي كنّا نعتقد فيها وجود تأثير أجادي على النص الإسلامي؛ قد تبيَّن لنا أنَّ العكس هوالأرجح>>[1]، وهنا قد شهد شاهد من أهلهم، ولم يمنعه التعصّب الأعمى من طرح الحقيقة وما وصل إليه بموضوعيّة وإنصاف، والجدير بالذكر أنّ الأجاده هي<<الأدبيات اليهوديّة غير التشريعيّة التي تشمل أساسا الجانب القصصي الأخلاقي والحكمي>>[2].

وإنّ في هذا البرهان القول الفصل في هذه القضيّة والتي تُسقط جميع افتراءات المستشرقين التي طرحوها منذ قرون، فأيُّ منطق يصدق أنّ القرآن قد يقتبس ويستفيد من كتب لم تؤلف بعد حينها، أوعلى الأقل لم تترجم بعد؟.

2- القرآن عبارة عن اقتباسات من التراث الأدبي

2-1- القرآن اقتباسات من شعر أميّة بن الصّلت

بعد أن أفاض المستشرقون في نسبة مصدر القرآن إلى الديانات الكتابية، راح البعض منهم يرجّح مصادر أخرى له؛ ومن هذا<< مازعمه المستشرق(كليمان هوار Hauar) من أنّه وجد مصدرا جديدا للقرآن–غير ماذكره أقرانه– هوشعر أميّة بن أبي الصلت(شاعر مخضرم كان يبشّر بقرب ظهور نبي جديد، ولمّا بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفر به حسدا من عند نفسه، وقال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: آمن لسانه وكفر قلبه>>[3]، وكأنّ الإسلام بكل شرائعه وأركانه وأحكامه وقوّته إلى يومنا هذا واستمراريته قد خلق ونضج من مجموعة أبيات شعرية تقول:

---

[1] – المرجع نفسه، ص 175، 176.

[2] –المرجع نفسه، ص 170.

[3] – محمد عبد الله الشرقاوي، مرجع سابق، ص 130.

<< وَيَوْمَ مَوْعِدُهُمْ أَنْ يُحْشَرُوا زُمَرا يَوْم التَغَابُنِ إذْ لَايَنْفَعُ الحَـذَرُ

مُسْتَوْسِقينَ مَعَ الدَاعي كَأنّهُـم رجل الجَرادِ زَفَتْهُ الرِيحُ مُنْتَشِر >> [1]

فأيّ عقل يصدق هذه الاحتمالات الواهية، والتي لاتتعدّى أن تكون مجرد تشويهات لمصدر الإسلام، لكنَّ هذه الشبهة لم تصمد أمام رأي (طه حسين)، الذي استنكر منهج هذه الفئة من المستشرقين في هذه القضيّة، فقال:<< والغريب من أمر المستشرقين في هذا الموضوع وأمثاله أنَّهم يشكّون في صحة السيرة نفسها ويتجاوز بعضهم الشك إلى الجحود، فلا يرون في السّيرة مصدرا تاريخيا صحيحا، وإنّما هي عندهم كما ينبغي أن تكون عند العلماء جميعا: طائفة من الأخبار والأحاديث تحتاج إلى التحقيق والبحث العلمي الدقيق ليمتاز صحيحها من منتحلها، وهم يقفون هذا الموقف العلمي من السّيرة ويغلون في هذا الموقف، ولكنّهم يقفون من أميّة بن أبي الصلت وشعره موقف المستيقن المطمئن، مع أنّ أخبار أميّة ليست أدنى إلى الصدق ولا أبلغ في الصحة من أخبار السّيرة>>[2].

وبغض النظر عن رأي (طه حسين) حول جمع السّيرة ومدى مصداقية الأحاديث النبويّة، فإنّ مقولته هذه قد واجهت المستشرقين بنفس سلاحهم الذي حاربوا به مصدر القرآن ومصدر الأدب الجاهلي.

[1] –التهامي نقرة، القرآن والمستشرقون، مناهج المستشرقين في الدراسات العربيّة الإسلامية، الجزء الأول، مرجع سابق، ص33.

[2] – طه حسين، في الشعر الجاهلي، تقديم، سامح كريّم، الدار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة، مصر، 2010، ص 183.

2-2- القرآن اقتباسات من شعر امرئ القيس

وإضافة إلى أشعار أميّة بن أبي الصلت، نجد مصدر أخر لشكوكهم حول مصدر للقرآن في الشعر الجاهلي: << ومنها هذه الأبيات التي نسبوها إلى امرىء القيس، والتي لاتخلومن بعض التعبيرات القرآنيَّة:

دَنَتِ الساعَةُ وانشَقَّ القَمَر عَن غَزالٍ صَادٍ قَلْبِي وَنَفَرٍ

أَحْوَرُ قَد حُرْتُ فِي أوْصافِهِ نَاعِسَ الطَرْفِ بِعَيْنَيْهِ حَوَر

سِهَامُ مِن لِحاظ فاتِكٍ تَرَكَتْنِي كَهَشيمِ المحْتَظِر>>[1] .

باعتبار أنّ ماجاء في هذه الأبيات من مفردات ومعاني قد جاء مثله في القرآن وتحديدا في سورة القمر[2]، وفي هذا الشأن يقول (عباس محمود العقَّاد) كلمة بسيطة وفاصلة:<< وأيسر ما يبدومن جهل هؤلاء الخابطين في أمر اللغة العربيّة قبل الإسلام وعلاقتها بالقرآن الكريم، أنّهم يحسبون أنّ العلماء المسلمين يجدون في بحث تلك الأبيات وصبا واصبا لينكروا نسبتها إلى الجاهليّة، ولا يُلهمهم الذوق الأدبي أنّ نظرة واحدة كافية لليقين بإدحاض نسبتها إلى أمرىء القيس أوغيره من شعراء الجاهليّة>>[3]، فالأمر إذن لايحتاج لدراسات علميّة حتّى يثبت علماء الأدب من العرب تفاهة هذه التّهمة وضعفها.

إنّ وجود فئة كبيرة من المستشرقين الذين يظهر حقدهم على الإسلام في بحوثهم والذين سعوا طوال حياتهم للنّيل من صحته بالدسّ وتحريف الحقائق، إلاّ أنّ هذا الأمر لم يمنع من وجود فئة أخرى قليلة منهم أنصفت الدين الإسلامي، كما اعترف هؤلاء بفضله

[1] -التهامي نقرة، مرجع سابق، ص34.

[2] - سورة القمر، الآية - 1 -31 -.

[3] - التهامي نقرة، مرجع سابق، ص 34.

وبمعجزة القرآن، بل إنّ منهم من دخل للإسلام وحاول نشر الحقيقة المغيبّة في بلاده[1]، وإذا كان المستشرقون الحاقدون على الإسلام، أوعلى الأديان عموما قد أنكروا الوحي والقرآن، فإن (موريس بوكاي) وهومن أبرز المستشرقين المنصفين، قد قال عن القرآن: <<في اعتقادي أنّه ليس ثمّة تفسير طبيعي لظاهرة القرآن>>، بل إنّه يقرّ بأنّه من المستحيل النيل من صحة القرآن، والمعلومات التي جاء بها من قبيل الحقائق الكونيّة أوالوراثيّة، والأبحاث المعنيّة بأعماق المحيطات، كل هذا أُثبت حقّا بالعلم والتمحيص[2].

وإنّه لمثل هذا تقود الموضوعيّة العلميّة الباحثين حول دراسة القرآن، بل ويمكن لهذه الأصوات الغربيّة أن تنقل هذه الصورة الحقيقيّة عن الإسلام والقرآن إلى الغرب، فيكون لها الفضل في التعريف بهذا الدين للعالم.

رغم أنّ المستشرق المسلم (مراد ويلفريد هوفمان) له رأي آخر فيما يخصّ الأبحاث التي يقوم بها(بوكاي)، حيث يرى بأنّ هذا الأخير قد وقع في خطأ محاولة إيجاد المزيد من الأدلّة على الحقائق العلميّة في القرآن، اعتقادا منه أنّ القرآن يحمل مفاتيح الغيب، وعجز عن معرفة أنّ الهدف الأول للوحي هوالحقائق المتعلّقة بأصول الدين وليس الحقائق العلميّة، فالقرآن حسب(هوفمان) ليس ملخّصا لعلوم الفيزياء والأحياء والكيمياء...[3].

فحقيقة القرآن تكمن في تعرّفنا على الله تعالى، وعلى أخذ الأحكام والتشريعات التي نسير بها في هذه الحياة.

---

[1] – ينظر، مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم، مرجع سابق، ص 178.

[2] – ينظر، مراد ويلفريد هوفمان، يوميات مسلم ألماني، ترجمة، عباس رشدي العماري، مركز الأهرام، القاهرة، مصر، ط 1، 1993، ص 178.

[3] – مراد ويلفريد هوفمان، المرجع نفسه، ص 179، 180.

ثانيا: التشكيك في ثبوتيّة النص القرآني

1- قضية جمع وتدوين القرآن عند المستشرقين

أثار المستشرقون حول القرآن الكريم شبهات وقضايا عديدة واهتمّوا بدراسة ومحاولة إيجاد أيّ ثغرة لتكذيبه، وبعد محاولة<< التشكيك في مصدر القرآن،... وكأنّ الأمر استقام لهم، راحوا يشكّكون في سلامته اللغوية والأسلوبيّة، ويحاولون النّيل من بيانه وفصاحته وبلاغته ونظمه وترتيبه ومعطياته>>[1].

وقد يكون أشدّ هذه الاتّهامات خطورة مسألة جمع القرآن، والتي أثاروها على أنّها حقيقية تاريخيّة، وهاهو(بلاشير) يشكّك في أنّ النبي قد أمر بكتابة الوحي، فكان من نتيجة ذلك حسب رأيه أنّ تدوين مقاطع من الوحي لم تنشأ إلّا بعد هجرته للمدينة، ورغم هذا كان مجرّد تدوين لأدعية أوأحكام شرعيّة[2].

ولا يخفى على أحد الغرض وراء هذا التصريح الذي يؤدي بالتفكير إلى الظنّ والاعتقاد بأنّ عدم حرص النبيّ على الكتابة قد أدّى بالتالي إلى ضياع نصوص قرآنية، ويقول (مشتاق بشير الغزالي) :<< يحاول بلاشير أن يقلّل من أهمية توثيق النصوص القرآنية حينما يقرر أن تدوينها لم يتمّ الاّ بعد هجرة النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة>>[3].

وإذا كان (بلاشير) قد طعن في مسألة تدوين القرآن، فإنَّ المستشرق (كازانوفا) يذهب إلى أبعد من ذلك << فإنّه يشكّ في نسبة بعض الآيات إلى الوحي، ويرجّح، دون اعتماد على منطق أووثائّق أووقائع ثابتة- أنّ أبا بكر الصديق هوالذي أضاف بعض

---

[1]- محمد بن عبد الله الشرقاوي، مرجع سابق، ص145.

[2]- ينظر، بلاشير، مرجع سابق، ص28، 29.

[3]- مشتاق بشير الغزالي، القرآن الكريم في دراسات المستشرقين، دار النفائس، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص124.

الآيات للقرآن الكريم>>[1]، ولقد رأى(مشتاق بشير الغزالي) فكرة أنّ القرآن جُمِع بعد وفاة النبي صلّى الله عليه وسلّم في مرجعيات وذهن المسلمين هي التي أدّت بأعداء الإسلام لاستغلال هذه الفكرة واعتمادها في التدليل على سقوط نصوص قرآنية وضياعها[2].

والحقيقة غير ذلك تماما، فالرسول صلى الله عليه وسلم قد كان حريصا كل الحرص على تدوين وكتابة القرآن فور نزوله، وهذا الحرص يدلّ عليه اتخاذ كتّاب للوحي بلغ عددهم تسعة وعشرين كاتبا أشهرهم الخلفاء الراشدون الأربعة، ومعاوية والزبير بن العوّام، وسعيد بن العاص، وعمروبن العاص، وأبيَّ بن الكعب، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم جميعًا[3].

كما أنّ قصّة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه دليل على أنّ التدوين كان قبل الهجرة، وذلك لأنّه أسلم بعد قراءته لصحيفة قرآنية[4]، فالأدلة موجودة على وجود تدوين القرآن الكريم منذ نزوله، والمصادر الإسلامية الخاضعة للتدقيق والموثوقة موجودة أيضا، لكنّ من أراد أن يضلّ نفسه وغيره هو من لا يبحث في الحقيقة إنّما ينغمس في الظنون والتشكيكات، وإن لم يجدها يصنع لنفسه واحدة.

وهذا حال المستشرق (نولدكه)، والذي غالى في تشكيكه في صحة القرآن، حتى أعطى لنفسه الحقَّ في ترتيبه ترتيبا خاصًا[5]، فترتيب السور الموجود في المصحف لم ينل إعجابه، ولم يرقَ لذكائه! فراح يتصرَّف فيه وصوَّغ لنفسه هذا القرار بأنّه يختلف عن

---

[1] – محمد عبد الله الشرقاوي، مرجع سابق،147.

[2]– مشتاق بشير الغزالي، مرجع سابق، ص173، 174.

[3]– ينظر، محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص 110.

[4]– ينظر، مشتاق بشير الغزالي،مرجع سابق، ص120.

[5]– ينظر، تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص60.

المسلمين في أنّهم بطبعهم يحبُّون الاتّكال[1]، لذلك لم يقوموا بهذه الخطوة، والحقيقة ليست مسألة اتّكال أوتهاون من المسلمين لأنّهم لم يتدّخلوا في ترتيب السور، بل إنّه << لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنّه توقيفي صادر عن حكيم أحدها : بحسب الحروف، كما في الحواميم، وثانيها: لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة، وثالثها: للوزن في اللفظ كآخر تَبّت وأول الإخلاص ورابعها: لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى مثل ﴿والضّحى﴾، ﴿ ألم نشرح﴾[2].

فالأمر محسوم منذ أربعة عشر قرنًا فيما يخصُّ ترتيب السور في المصحف، كما وأنّه ليس بتلك الضرورة التي يعتقدها (نولدكه) أن يتّحرى كل مسلم الترتيب ويجعل منها قضية حاسمة في الاستنتاج من أنّ القرآن من عند الله أومن صنع بشر، وهي لا تدلّ بحال من الأحوال على صحة أوعدم صحة النص القرآني، إلا لمن أراد أن يثير الشكوك.

وراح (بلاشير) يورد سببا من الأسباب التي زادت مشكلة توحيد النصّ القرآني، ألا وهي حسب رأيه صراعات الطوائف السياسيّة، خاصة بعد اغتيال علي رضي الله عنه، فقام الشيعة حسب اعتقاده بالتشكّيك في القرآن وحذفوا منه بعض الآيات من سورتي<< الحجر والنور>>[3]، ويكفي لدحض حجته أن ننقل قول الطبرسي الذي نقله(الزرقاني) في كتابه حيث يقول:<< أمَّا الزيادة في القرآن فمجمع على بطلانها، وأمّا النقصان فهو أشد استحالة>>[4]، والطبرسي هوأحد أعلام الشيعة[5]والذي نفى ما جاء به المستشرق بأنّهم

---

[1]– ينظر، تيودور نولدكه، مرجع سابق، ص58.

[2]– (الزركشي) بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق، أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط،2006، ص183، 184.

[3]– ينظر، بلاشير، مرجع سابق، ص35، 36.

[4]– محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، عيسى الحلبي وشركاه، ط3، د ب، د س، ص 281.

[5]– ينظر، ساسي سالم الحاج، مرجع سابق، ص224.

يتّهمون القرآن بالتحريف، فالمراحل التي مرّ بها القرآن منذ نزوله لا تدع مجالا للشك في صحته وثبوت نصّه، لقد نزل القرآن الكريم على أجزاء متفرقة على مدى ثلاث وعشرين سنة، وكان الرسول كلّما جاء الوحي تلاه على الحاضرين وأمر كَتَبة الوحي فورا بتدوينه في الخشب أوقطع الجلد أوصفائح الحجارة، أو أيَّ شيء يمكن التدوين والكتابة فيه، وهكذا كان في حياة النبي مئات من الصحابة كانوا حفظة للقرآن الكريم[1].

فهو إذن<< محفوظ الأجزاء(الآيات) بالتدوين الخطيّ للنص الكريم فور نزولها، وبإملاء النبي صلى الله عليه وسلم مع تعيّين الكتبة، ومحفوظ الجملة بجمعه في المواد التي كتب فيها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بجمعه في مصحف في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، ثم بنسخه في مصاحف وُزّعَت على الأمصار في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه. وليس فوق ذلك توثيق. فالحمد لله الذي منَّ علينا بهذه النعمة الكبرى نعمة حفظ كتابنا من الضياع ومن التحريف. وصدق الله العظيم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾>>[2].

فالقرآن نص إلهي، نقل إلينا بالتواتر نقلا حرفيًّا بالمشافهة والكتابة[3] ، والطريقة التي جمع بها، والحرص الشديد الذي أحيط به منذ نزوله حفظا في الصدورواستعانة بالتدوين المباشر، هذا يمحي أيّ شبهة في احتمالية تحريف نصّه زيادة أو نقصانا.

---

[1]– ينظر، محمد عبد الله دراز، مدخل على القرآن الكريم، تر، محمّد عبد العظيم علي، دارالقلم والكويت، دط، 1984، ص34.

[2]– محمد حسن حسن جبل، الرد على المسشرق اليهودي جولدتسيهر،في مطاعنه على القراءات القرآنية، جامعة الأزهر، طنطا، مصر، ط2، 2002، ص14.

[3]– ينظر، عبد الصبور شاهين، مرجع سابق، ص 33.

2- شبهة اضطراب النصّ القرآني

2-1- القراءات القرآنية عند المستشرقين

شكّك المستشرقون في صحة وحدة النّص القرآني، واتّخدوا القراءات القرآنية وليجة للتدليل على صحة زعمهم لإثبات الاضطراب، يقول(جولدتسيهر)،<< فلا يوجد كتاب تشريعي، اعترفت به طائفة دينيّة اعترافًا عقديًّا على أنّه نصٌ منزّل أوموحى به، يقدّم نصّه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب، وعدم الثبات، كما نجد في نصّ القرآن>>[1].

والغريب في أمر هذا المستشرق أنّه يتّهم فصاحة وثبات القرآن وهوالأعجميُّ مهما أتقن اللغة العربية، << وقد عجزت فصاحة العرب وبلاغتهم- وهم أهل الفصاحة والبلاغة- عن محاكاة لغة القرآن. وقد تحدَّاهم الوحي أن يأتوا ولوبسورة من مثله، ولكنّهم عجزوا عن قبول التحدّي>>[2].

ورغم هذا فالعرب لم يقدروا على نقده من ناحية فصاحته أولغته، فقالوا عن الرسول شاعر[3]، وساحر[4]، وكاهن[5]، ولكنّهم لم يستطيعوا حتّى الافتراء واتّهام النصّ القرآني بالاضطراب، بل إنّ الوليد بن المغيرة على كفره قال في وصف القرآن:<< فوالله ما فيكم رجلٌ أعلم بالشعر منِّي، لا بِرَجِزِهِ ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ. والله مايشبه هذا الذي يقول شيئًا من هذا. والله إنّ لقوله الذي يقول لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنه لمثمرٌ أعلاه،

---

[1]- إيجناس جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، تر، عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، د ط، ص04.

[2]- محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص114.

[3]- سورة الصافات -36-.

[4]- سورة ص -04- .

[5]- سورة الحاقّة -42- .

مغدقٌ أسفله، وإنّه ليحطم ما تحته، وإنّه ليعلو وما يعلى عليه>>[1] ، وهذا كان وصف رجل من العرب الفصحاء، يعرف العربيَّة ولابد، لكنَّه تفنن في وصف القرآن بأبلغ العبارات، ولم يتجرَّأ تجرّأ المستشرقين الأعجميّين في الطعن في فصاحته وجمال أسلوبه وكأنّهم أصل العربية وأصل الذوق السليم.

وينتقد(محمد حسن حسن جبل) << ولقد عبّرَ "جولدتسيهر"عمَّا أسماه اختلاف النص القرآني واضطرابه ست عشرة مرة في ثمانية وعشرين سطرًا متوالية>>[2]، في محاولة منه لتأكيد فكرته، وهذه إحدى محاولاته في الطعن في عقيدة المسلمين.

ولكنَّ الردود الشرقيّة قد وجّهت له، وأصابته في منهجيّة بحثه وصدق أقاويله من حيث أراد هو إصابة القرآن، يقول(محمد فاروق النبهان): << وإذا كان "جولدتسيهر" يرى في النصّ القرآني اضطرابا، فإنَّ هذا القول ينافي الواقع، فالنصُّ القرآني من أقوى النصوص دقَّة وأكثرها صحةَ(...) ولم يصل أيُّ نصّ إلى درجة القطعيّة واليقين من حيث الثبوت كما وصل إليه النص القرآني، ولعل "جولدتسيهر" أراد بذلك تعدّد القراءات(...) واختلافُ القراءات لا يعتبر اختلافا في النص، وإنّما هو اختلاف في كيفية الأداء، ولا يخلّ بالمعنى، ولايخرج عن مقتضى الرسم القرآني>>[3]، ويرى مترجم كتاب<< مذاهب التفسير الإسلامي>> لصاحبه (جولدتسيهر)، أنَّ هذا المستشرق لم ير كتب الشرائع

[1]– مصطفى ديب البغا ومحي الدين متو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيّب، دار العلوم الإنسانية، دمشق، سوريا، ط2، 1998، ص27.

[2]– محمد حسن حسن جبل، مرجع سابق، ص15.

[3]– محمد فاروق النبهان، الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، المملكة المغربية، دط، ، 2012، ص46.

السابقة التي يقارنها بكتاب القرآن، فكلّ نصوصها الأصليّة غير موجودة، فأنّى له أن يحكم باختلافها عنه[1].

ويستنكر (محمد حسن حسن جبل) إصرار (جولدتسيهر) لإثبات الأدلة الفارغة في الطعن في سلامة النصّ القرآني ووحدته:<< وكل هذه اللجاجة توحي أنّه ليست هناك أيّة جملة في قراءة النصّ القرآني تماثل نظيرتها في قراءة أخرى، وذلك في حين أنّه سوف يتبيَّن بالدراسة العلميّة أنَّ اختلاف القراءات في كلمات القرآن اختلافا ذا قيمة في المعنى لا تبلغ نسبته نصفا في الألف، أي أنّ القارئ لا يجد كلمة تختلف قراءتها اختلافا من النّوع المذكور إلا كل ألفين ومئتي كلمة. وبلغة الصفحات كلمة كل عشر صفحات أوتسع، ومع ذلك يتلاقى معنيا الكلمة ومخالفتها، ثم يأتي ذلك المستشرق ويقول إنّ النصَّ القرآني غير موحد، أيُّ بهت وأيُّ جزافيّة في التعبير !!>>[2]

وهذه المحاولات المغرضة تحاول إثارة مسألة القراءات القرآنيّة وكأنّها تعدّد في نسخ المصاحف القرآنيّة واختلافها، والحقيقة أنّ القرآن وهذه القراءات حقيقتان متغايرتان، وذلك لأنَّ القرآن هوذلك النصُّ الثابت المنزل بالوحي على رسول الله، وأمّا القراءات القرآنية فهي لا تتعدّى كونها وجوها أدائيّة، منها المتواتر ومنا الصحيح، ومنها الضعيف، ومنها الموضوع أصلا، فهي تتعلّق باللفظ لا بالتركيب[3].

ومن المآخذ المنهجيّة التي سقط فيها(جولد تسيهر) في كتابه <<مذاهب التفسير الإسلامي>>وذلك في محاولة إثبات اضطراب النص القرآني:

[1]– ينظر، إيجناس جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، مرجع سابق، ص04.

[2]– محد حسن حسن جبل، مرجع سابق، ص16، 17.

[3]– ينظر، عبد الصبور شاهين، مرجع سابق، ص40.

– مثّل سبعة وأربعين مثالا للقراءات من القرآن الكريم، والتي أوردها ليبيّن ويثبت حكمه على القرآن بالدليل، لكنّ الذي تبيّن أنّ هذه الأمثلة ليست من القراءات في حقيقة الأمر، فقد مثّل بثمانية فقط من القراءات المتواترة، وأما باقي استشهاداته، فثلاثة أمثلة كان قد خلط فيها بين المتواتر والشاذ، وستة وثلاثون مثالا الباقية ليست في القراءات في شيء ولا تصلح أن يحتّج بها على اضطراب القرآن.

– استعانته بالمنهج التاريخي في دراسة ونقد نص القرآن؛ والمنهج التاريخي يصلح لما هوتاريخي، ولا يصلح لدراسة القرآن لانّه نص إلهي ، وقد اكتمل باكتمال الوحي[1].

– لجأ (جولدتسيهر) في مهمّته هذه أيضا إلى قمش المعلومات من كتب بعيدة كل البعد أن تُعدّ مصدرا في الإستناد إليها في موضوع القرآن، ومن ذلك استناده لكتاب ألف ليلة وليلة[2]!!

– اعتمد(جولدتسيهر) كثيرا في إيراده للروايات والآثار على كتاب(تيودور نولدكه) <<تاريخ القرآن>>، وأيضاعلى كتابات(كارل بروكلمان)، ممّا يطرح التساؤل: مامدى مصداقية وموثوقيّة المصادر والمعلومات التي اعتمدها أمام المصادر الإسلاميّة[3].

وماهذه الانتقادات المنهجيّة والعلميّة التي وجّهت إليه إلّا غيض من فيض، لنبيّن حجم التحامل في كتابه ضد القرآن والمسلمين وعقيدتهم، ولهذا يقول(مصطفى السباعي) :<<إنّ المستشرقين المعاصرين في الدول غير الاستعمارية يتخلّون عن جولدتسيهر وآرائه

[1]– ينظر، محمد حسن حسن جبل، مرجع سابق،ص37.

[2]–ينظر، محمد بن إبراهيم، <<جولدتسيهر والقران الكريم >>، الاستشراق والاستعمار والامبرياليّة، دراسات فيما بعد الكونياليّة، مرجع سابق، ص393، 397.

[3]– ينظر، محمد بن إبراهيم، مرجع سابق، ص393.

بعد أن انكشفت أهدافه الخبيثة>>[1]، وهذا كان حكما لابد منه لا ينافي الموضوعية بعد أن تبينت نيّاته وظهرت دوافعه، وانكشفت دسائسه على الإسلام.

ويتابع (جولدتسيهر) محاولاته في إثبات الاضطراب الذي يتحدث عنه في القرآن، قائلا هذه المرة بأنّه ليس هناك نصٌّ موحد للقرآن، كما ويزعم بأن هناك قراءة مشهورة عند المسلمين، وحتّى هذه القراءة لا ترقى للوحدة في جزئياتها، وأنّ المسلمين أنفسهم- حسبه- لا يبالون في الحقيقة بهذه الاختلافات ويسود التسامح والحرية في اختيار القراءة التي تناسبهم، والسبب حسب (جولدتسيهر) في كل هذه الاختلافات في القرآن ترجع إلى الخط العربي وخاصيّة الشكل والنقط فيه[2]، وممّا نلاحظه على كلامه هذا أنّه نحن كمسلمين لم نسمع بوجود هذه القراءة الوحيدة والمختلفة عن باقي القراءات والنسخ القرآنيّة عندنا! فمن أين يأتي هذا المستشرق بهذه الأفكار؟.

2-2- قضية الخط العربي

يقول(جولدتسيهر):<< نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربيّ، الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتيّة مختلفة، تبعًا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أوتحته، وعدد تلك النقاط>>[3].

وهذا الاتّهام الذي يرمي به هذا المستشرق الخطّ العربي يدلّ على جهله بقدرة العرب قديمًا على قراءة الخط بسهولة ويسر وبدون نقاط وذلك لأنّهم معتادون عليه، وحتى بعد وضع النقط فهذا لم يشكل عائقا في فهمهم له، والسبب في اختلاف القراءات ليس هذا الخط العربيّ، وإنّما يعود السبب إلى أن الصحابة الذين توجّهوا بالمصاحف إلى أهل

[1]- مصطفى السباعي، السنةومكانتها في التشريع الإسلامي، دار الورَّاق، القاهرة، مصر، ص1949.

[2]- ينظر، إيجناس جولدتسيهر، مذاهب التفسير الاسلامي، مرجع سابق، ص06، 07، 08، 49.

[3]- إيجناس جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، مرجع سابق، ص08.

القرى والأمصار لتعليمهم، كانت هذه المصاحف خالية من النقط والشكل، فاحتملت ماصحّ نقله، وثبتت تلاوته عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فكان الإعتماد على الحفظ لا على مجرّد الخطِّ، فأخذ عنهم أهل تلك الناحيّة على ما كانوا يتلقّونه سماعًا شرط موافقة المحفوظ، ومن الأدلة أيضا أنّه لا علاقة للخط بظهور اختلاف القراءات:

– لوكانت القراءة تابعة للرسم لصحّت كل قراءة يحتملها المصحف، لكن كان بعض مايحتمله الرسم مقبولا مثل: (فتبيّنوا) ويحتمل الرسم أيضا (فتثبّتوا)وبعضه مردود مثل: قراءة (حمادالراوية):(أباه) في سورة التوبة، وقراءة (وماكنتم تستكثرون في سورة الأعراف).

وكل هذه القراءات غير المقبولة ولا المعترف بها عند المسلمين كان قد استشهد بها (جولدتسيهر) في مجال إثبات اضطراب واختلاف النص القرآني[1]، مع أنّه << لا يحقّ له أن ينتقد أويناقش إلّا ما اعترف به المنقود>>[2]، وهذا أن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على نيّة التشويه وتحريف الحقائق وبأنّه قد رسم ما ينقله ويحاول إقناع القارئ به وذلك ربما قبل حتى أن يبدأ في دراسة المعلومات المتعلقة بهذا الأمر.

– لقد بدأ الاهتمام وتمحيص الرواية وإسنادها ودراسة حال رواتها منذ العقد الثاني من القرن الأول، بما لا يدع مجالا للدسّ في القرآن.

[1]– ينظر، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودَفعها، دار الشروق، السعوديّة، ط2، 1983، ص23، 27.

[2]– محمد بن إبراهيم، مرجع سابق، ص398.

– إنّ الرسم تابع للرواية والنقل، أي أنّ الحفظ أوّلا ثم يأتي بعد ذلك مراجعة رسم المصحف[1] .

– لوكانت القراءة خاضعة للرسم، لما أمر عثمان رضي الله عنه بحرق كل تلك النسخ من القرآن[2]، فلو صحّت تخمينات (جولدتسيهر) فستكون كل تلك النسخ صحيحة ومقبولة وليس من داعٍ لحرقها.

والقراءات القرآنية لا تخرج عن هذه الأوجه:

يقول(الزَّرقاني) في ضبط هذه الوجوه التي نقصد بها القراءات القرآنية<<والذي نختاره– بنور الله وتوفيقه– من بين تلك المذاهب والآراء هوماذهب إليه الإمام (أبوالفضل الرازي) في <<اللوائح >>إذ يقول: الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف:

(الأول): اختلاف الأسماء من إفراد، وتثنية، وجمع، وتذكير، وتأنيث.

(الثاني): اختلاف تصريف الأفعال من ماضٍ، ومضارع، وأمر.

(الثاني): اختلاف وجوه الإعراب.

(الرابع): الاختلاف بالنقص والزيادة.

(الخامس): الاختلاف بالتقديم والتأخير.

(السادس): الاختلاف بالابدال.

[1]– ينظر، محمد حسن حسن جبل، مرجع سابق، ص33.

[2]– ينظر، إيجناس جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، مرجع سابق، ص49.

(السابع): اختلاف اللغات<< يريد لهجات>> كالفتح والإمالة والترقيق والتفحيم، والإظهار والإدغام>>[1]، وهذه مجموع الاختلافات التي جاءت بها القراءات القرآنية، ويمكن توضحيها أكثر بإعطاء أمثلة عنها:

(الأول) مثل: قوله تعالى﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ قرئت﴿ أَمَانَاتِهِمْ﴾ جمعا، وقرئت بالإفراد﴿لأَمَانَتِهِمْ﴾.

(الثاني) قال تعالى:﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾قرئ بنصب لفظ﴿رَبَّنَا﴾، وبلفظ﴿بَاعِدْ﴾، وأيضا تقرأ﴿ربُّنا بعَّدَ﴾.

(الثالث) قال تعالى: ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾، قرئ بفتح الراء وضمّها.

(الرابع) قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾، وقرئ أيضا﴿والذكر والأنثى﴾.

(الخامس) قال تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾، وقرئ أيضا﴿وجاءت سكرة الحق بالموت﴾.

(السادس) يقول سبحانه: ﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾،وقرئ ﴿نُنْشِرُهَا﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَطَلْعٍ منذود﴾، وقرئ ﴿وَطَلْعٍ﴾.

(السابع) يقول تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾، تقرأ بالفتح والإمالة في كلمتي﴿أَتَى﴾ وَ﴿وموسى﴾[2].

وجمع هذه القراءات على سبع (أبوبكر أحمد بن موسى بن العبَّاس بن مجاهد التميمي البغدادي) المتوفى عام 324هـ، في كتابه ‹‹السبعة›› لابن مجاهد، جمع فيه

[1]– نقلا عن أبي الفضل الرازي، محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص155.

[2]– ينظر، محمد عبد العظيم الزرقاني، مرجع سابق، ص155، 156.

الأئمة السبعة المشهورين: نافع، وابن كثير، أبي عمرو، ابن عامر، عاصم، حمزة، الكسائي، ثم جاء(شمس الدين محمد بن محمد الجزري)المتوفى عام833هـ فأضاف لكتاب<<التيسير في القراءات السبع>> للإمام (أبي عمرو الداني): قراءة الأئمة الثلاثة: أبا جعفر، ويعقوب، خلف، في كتاب سمَّاه:<<تحبير التسيير>>[1].

مخطط للأئمة العشرة وروَّاتهم

نافع المدني: – قالون، – ورش

حمزة الزيات الكوفي: – خلف، – خلاد

ابن كثير المكي: – البزي، – قنبل

أبوجعفر: – ابن وردان، – ابن جماز

يعقوب الحضرمي: – رويس، – روح

خلف: – إسحاق، – ادريس

أبوعمروالعلاء البصري: – الدوري، – السوسي

عبدالله بن عامر الشامي: – هشام، –ابن ذكوان

الكسائي الكوفي: – أبوالحارث، _ الدوري

عاصم: _شعبة، _ حفص[2]

[1]– ينظر، شعبان محمد إسماعيل،المدخل إلى علم القراءات، مكتبة سالم، مكة المكرمة، ط2، 2003،ص50، 55.

[2]_ينظر، أشرف فوزي العشي، دليل الإتقان في تلاوة القرآن، دار القرآن الكريم والسنة، غزة، فاسطين، دط،2018، ص15.

وفي الحديث عن نّشأة القراءات القرآنية والدّواعي إليها، يقول (شاهين عبد الصبور): يتّصل بالقرآن من ناحية الآداء تسهيلات تعرف باسم القراءات القرآنية رخصها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اتسعتّ رقعة الدولة الإسلامية ودخلت مختلف الشعوب والألسنة إلى الإسلام، فكان صعبا على هؤلاء إتقان القرآن الكريم وقراءته بلهجة قريش التي نزل بها، وهكذا أجاز لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرؤوا ويتعلموا القرآن برخصة الحروف السبعة. وهنا ظهرت بعض وجوه الاختلاف في الأداء، وأخذت فيما بعد صورة الأصول العامَّة كالإدغام والإظهار والإمالة، وتحقيق الهمز، وإسقاطه وتخفيفه[1].

يقول(محمد حسن حسن جبل)<< واختلاف ألفاظ النصّ اختلافا يؤدي إلى فقده الوحدة لا يكون الا بشرط أوّلي هوأن يكون ذلك الاختلاف من النوع الحقيقي لا الشكلي. ونعني بالشكل ذلك الاختلاف اللهجي في أداء الكلمات لا في الكلمات نفسها وهذا أمر لا يستطيع أن يجادل فيه أحد، بمعنى أن أحدا لا يستطيع أن يقول إن كلمة في النص تغيَّرت بمجرَّد أنَّها نطقت بإمالة ألفها أوبتسهيل همزتها، أوبإشمام بائها ضمّة، أوبالوقوف على تائها المربوطة بالتاء بدلا من الوقف بالهاء، أوبتغيير حركة بنتيها مع بقاء معناها، مثل<<ضَعف>> –ضُعف– بفتح الضاد أوضمّها، وكذلك ما أساسه سنن العرب في كلامها مثل: يعملون وتعملون إلخ تلك الاختلافات الملحقة بها..... لا تّمس المعنى أدنى مساس>>[2].

فإنّ اختلاف القراءات أمرٌ ثابت بالوحي من عند الله لفظًا ومعنى، وتتّبع جميع أوجه الاختلافات فيها يؤكد لنا[3]، أنَّها << على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء

[1]– ينظر، شاهين عبد الصبور، مرجع سابق، ص38، 39.

[2]– محمد حسن حسن جبل، مرجع سابق، ص84.

[3]– ينظر، محمد بن إبراهيم، مرجع سابق، ص398.

والتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوع قراءاته، يصدّق بعضه بعضا، ويبيّن بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض، على نمط واحد في علوّ الأسلوب والتعبير، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم>>[1].

2-3- قضية جواز قراءة القرآن بالمعنى

يستمر(جولدتسيهر) في محاولات التشكيك في سلامة النص القرآني ، قائلا هذه المرة : << أي مادام لم يحصل اختلاف أساسي في معنى الألفاظ . فالمعوَّل إذا في المرتبة الأولى على المعنى الذي يستنبطه النص، لا على الاحتفاظ المتناهي في الدقة بقراءة معينة>>[2].

وقام بالرد على شبهته هذه (محمد بن إبراهيم) حيث يقول: إنّ ذكر(جولدتسيهر) لجواز قرآءة القرآن بالمعنى دون اللفظ غير صحيح، فالأكيد أنّه كما يروي لناجماعة من السَّلف أن القراءة " سنة متّبعة "، بمعنى يأخذها اللاحق عن السابق، ويأخذ بها السامع عن المسموع، فعن علي بن أبي طالب يقول<< إنّ رسول الله يأمركم أن تقرؤوا كما علّمتم>>. وهذه الروايات هي التي تدل أنَّ طريق ضبط النص القرآني هو التلقّي والمشافهة من أفواه القرّاء[3].

ولابد أنّه كما يقول(محمود حمدي زقزوق) << إنَّ اختلاف القراءات أمر ثابت لا ننكره، ولكن الأمر الذي لا شك فيه أن القرآن الكريم كان وحيا باللفظ والمعنى معا >>[4]، ولا يتوقف (حمدي زقزوق) حتّى يوجّه كلمته للمستشرقين من ذوي فئة المشكّكين <<

---

[1]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مرجع سابق، ص149.

[2]-إيجناس جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي،مرجع سابق، ص49.

[3]- ينظر، محمد بن إبراهيم، مرجع سابق، ص398.

[4]- محمد حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص110.

ولايوجد مسلم يستبيح لنفسه أن يقرأ القرآن بأي لفظ شاء مادام يحافظ على المعنى(...) إنهم –يبحثون دائما– كما سبق أن أشرنا– عن الآراء المرجوحة والأسانيد الضعيفة ليبنوا عليها نظريات لا أساس لها من التاريخ ولا من الواقع>>[1].

وإن المتمعّن في حجم الصراع وقسوة بحوث المستشرقين وبُعدها عن المنطق والمجال العلمي و الملاحظ شدّة ردود الشرقيّين ونقدهم دون مجاملة في الكشف عن النوايا الخبيثة يعلم بأنّه مازالت هناك أشواط زمنية طويلة جدا حتى ينتهج المستشرقون طريقة البحوث العلمية التي تعتمد على الأدلة والتدقيق العملي، واستحضار مجالات بحث ترقى للأدب، وسجالات ترقى للعلميّة؛ وإن حدث هذا يوما ما سنستبشر خيرا بجهود المستشرقين في دوائر الجهود الإسلامية.

وهكذا كانت الردود على المستشرقين حول القرآن الكريم وصحة الوحي وتعدّد القراءات واختلافها تطعن في مناهج المستشرقين في التعاطي مع النّص القرآني، وتعرض ثغرات الرؤية وضعف المنهج في الحكم على النص القرآني .

[1]– محمد حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص110.

الفصل الثالث

محور السّيرة والسنّة النبويّة

الفصل الثالث: محور السيرة والسنة النبوية

أولا: المستشرقون والسيرة النبوية

1- بدايات تشكيل صورة محمد عند الغرب.

2- تفسير المستشرقين لظاهرة الوحي

3- المستشرقون وقضية تعدد الزوجات في الإسلام

4- المستشرقون وقضية تعدد زوجات الرسول

5- قضية زواج النبي صلى الله عليه وسلّم من زينب بنت جحش عند المستشرقين

ثانيا: المستشرقون والسنّة النبويّة

1- التعريف بالسنة النبوية

1-1- لغة

1-2- اصطلاحا

2- منزلة السنّة من الدّين

3- قضايا المستشرقين في تناول السنّة

3-1- قضية التشكّيك في السند

3-2- نظرية نقد الحديث عند المسلمين

3-3- الاختلاف في الحديث

3-4- المستشرق شاخت والشريعة الإسلاميّة

4- السنة عند تلاميذ المستشرقين من المسلمين

4-1- محمود أبورية ونقده لأبي هريرة

4-2- أحمد أمين وقضية وضع الأحاديث ونقد السند والمتن فيها

أولا: المستشرقون والسيرة النبويّة

1- بدايات تشكيل صورة محمد عند الغرب

كان لسيرة – الرسول صلّى الله عليه وسلّم- في دراسات المستشرقين اهتمام بالغ، ودراسات واسعة، ونظريات وخلفيات متوارثة منذ بداية الدراسات الاستشراقية إلى يومنا هذا،<<ولم ينصف معظمهم الرسول صلى الله عليه وسلّم، فرموه بالكذب والدجل والجنون إلى غير ذلك من تهم ومفتريات، كما أنّ أكثرهم نظر إلى السيرة المطهرة والسنّة المشرفة بعين الارتياب والتشكيك>>[1].

وهكذا جاءت أبحاثهم وكتبهم تحتوي من الأكاذيب والبعد عن الحقيقة مايكفي لتشويه الإسلام ونبيّه إلى العصر الذي نعيشه الآن، وذلك منذ العصور الوسطى في أوروبا، حيث شكّل الإسلام خطرا على الكنيسة، فكان أن توجّه الرهبان ووجّهوا إلى التهويل والتخويف من شخصية محمد النبيّ[2]، فصوّروه صلّى الله عليه وسلم<< كاردينالا منشقّا على البابويّة، طمع في كرسيّها فلما خابت آماله، ادّعى النبوّة، ولصّا، وقاتلا، وزير نساء، وكافرا وساحرا ودجّالا وخائنا وفاجرا، وشيطانا وإرهابيّا يُشيع الموت وينشر الدمار>>[3].

وهذه كانت البدايات الأولى والنّظرة التي حملها الغرب على الإسلام ونبيّه، وهذا ماذكره المستشرق(مونتجمري وات) متحدّثا في هذا الموضوع والتأثير الذي تسبب فيه،

---

[1]- محمد عبد الله الشرقاوي، مرجع سابق، ص158.

[2]- ينظر، عبد الجبار ناجي، مرجع سابق، ص244.

[3]- عرفان عبد المجيد، مرجع سابق، ص06

حيث قال:<< وأصبح محمد ماهوند« أمير الظلمات» حتّى إذا ماحلّ القرن الحادي عشر كان للأفكار الخرافيّة المتعلقة بالإسلام والمسلمين تأثير يؤسف له>>[1] .

فكان من نتائج هذه الصور المحرّفة على مرّ العصور أن تَأثّرَ الفن والأدب بما قامت الكنيسة وأتباعها بنشره وإذاعته، فراح (دانتي) يؤلف« الكوميديا الإلهيّة »، ويضع رسول الإسلام – صلى الله عليه وسلم– في جهنّم[2]، وهذا مايؤكّد أنّ كتابات العصور الوسطى المشوّهة للإسلام قد بقيت عالقة في أذهان الغرب.

ويطرح المستشرق(وات) قضية الصورة الراسخة في عقل الأوروبي عن الإسلام ونبيّه، قائلا:<< منذ القرن الثاني عشر جدّ الباحثون من أجل تقويم الصورة المشوّهة التي تولّدت في أوروبا للإسلام، ولكن رغم الجهد المبذول فإنّ آثار الموقف المجافي للحقيقة والتي ولّدتها كتابات القرون الوسطى في أوروبا لازالت قائمة، فالبحوث والدراسات الموضوعيّة لم تقدر على اجتثاثها كليّا>>[3].

وذلك راجع ربما لقلّة من يكتب بإنصاف وموضوعيّة من المستشرقين عن الإسلام والمسلمين، كما وأنّ رواية أنّ كل مافي الإسلام فهو شر قد تناقلتها الأجيال حتى صارت مثل الحكاية الشعبيّة التي لايعرف أحد متى حدثت ولكنّه يؤمن في داخله بصدقها، فليس من السهل تقويم كل هذه الدراسات الاستشراقية بين قرن وآخر، فكانت هذه هي الخلفيّة المعرفيّة التي تناقلتها أوربا عن الإسلام جيلا بعد جيل، ويرى (عبد الجبار ناجي) أنّ الرسوم الكاريكاتوريّة والمقالات الإستهزائيّة بالإسلام ونبيّه عليه الصلاة والسلام والتي

[1]– مونتجمري وات، محمد في المدينة، تر، شعبان بركات،منشورات المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، دط، دس، ص494.

[2]– ينظر، هوبرت هيركومر، صورة الإسلام في الثراث الغربي، تر، ثابت عيد تقديم، محمد عمارة، نهضة مصر، القاهرة، دط، 1999، ص24.

[3]– عرفان عبد المجيد، نقلا عن مونتجري وات، مرجع سابق، ص04.

تنشر في الدول الغربيّة باسم حرية التعبير، ماهي الاّ نموذج عن آثار تشويهات العصور الوسطى للإسلام[1]، وماهي إلاّ خط متواصل من العداء دام كل هذه القرون، ولقي من يسنده ويشجعه حتى تتواصل هذه الإعلانات والدعايات الكاذبة والمشوّهة لدين الإسلام ومايخصّه سواء قرآنه أونبيّه أوالمسلمين بحدّ ذاتهم.

2- تفسير المستشرقين لظاهرة الوحي

تعرّض المستشرقون لتفسير ظاهرة الوحي للنبي محمد صلى الله عليه وسلّم بتفسيرات مختلفة، وآراء متهافتة، محاولين بذلك تكذيبها، ومن هؤلاء المستشرقين؛ نذكر: (نولدكه) يصف ذلك بقوله:<< فمن الضروري أن نصف ماكان يغشاه بحالة من الاضطراب النّفسي الشديد(Rob.Sommer). ويقال إنّ محمدا كان يعاني منها منذ حداثته وبما أنّ العرب، شأنهم في ذلك شأن كل الشعوب القديمة، كانوا يعتبرون من كانت تعتريه حالات كهذه<< مجنونا>> >>[2].

أمّا المستشرق (جوستاف فيل) فيصف ماكان يصيب الرسول ممّا يشبه الحمّى، وصوت كصلصلة الجرس، ليس وحيا وإنما حسب(جوستاف) ماهي إلاّ نوبات صرع واضطرابات عصبيّة[3].

ويدرس (جولدتسيهر) هذه الظاهرة ببعد آخر فيترجمها بأنّها حالة مرضية(باثولوجية)، نشأ إثرها إحساس محمد وإعتقاده في نفسه بأنّ وحيا قد نزل عليه، ويفسّر ذلك بأن هذه الحالة المرضية تصيب الرجال المتفوّقين أكثر من غيرهم فيتّخذون منها قوّة تهدم جميع العقبات، وهذه الحالة حسب اعتقاده وكأنّها وسيلة وغاية في نفس

[1]- ينظر، عبد الجبار ناجي، مرجع سابق، ص248.

[2]- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، مرجع سابق، ص24.

[3]- ينظر، محمد عبد الله الشرقاوي، مرجع سابق، ص158.

الوقت، يسعى من خلالها رجال يعتقدون العظمة في أنفسهم إلى تحقيق رغباتهم وسيطرتهم[1]، ويذهب(كارل بروكلمان) إلى اتّهام النبي –محمد صلى الله عليه وسلم– بأنّه كان يفكر ويتمنى أن يصبح نبيّا مبعوثا، كما كان للشعوب الأخرى أنبياء، ثم نضجت في نفسه هذه الفكرة حتّى جاء اليوم الذي أعلن فيه ما ظّن أنّه قد سمعه كوحي من عند الله بواسطة الملك جبريل[2].

وهذه الأقوال جميعها، أقل مايقال عنها بأنها خلط عشوائي للاستنتاجات بحيث إنّ هؤلاء المستشرقين يأتون بخلفية ونظرة فكرية خاصة عن– النبي صلى الله عليه وسلّم– ثم يضربون فيها الآراء ويفسّرونها في غياب الدليل والتوثيق التاريخي.

3– المستشرقون وقضية تعدّد الزوجات في الإسلام

موضوع تعدد الزوجات في الإسلام كان من أكثر النّقاط التي ظنّ المستشرقون ضعفها، فانهالوا عليها يُصوِّبون السهم تلوالآخر، علَّهم بذلك ينفذون لطعن هذا الدّين بطعن ما جاء به، ولطالما كان الإسلام هوالدين الذي ارتبط اسمه دائما بموضوع تعدد الزوجات للرجل، ولكن قول(لخضر شايب) يدحض هذه النظرة التعسفيّة، حيث يقول:<< وقد ثبت أنّ تعدد الزوجات هومن الأحكام الشرعيّة التي اشتركت فيها الديانات التوحيديّة الثلاث، فقد كان لإبراهيم ويعقوب وموسى عليهم السلام أكثر من زوجة، كما اتّخذ سليمان عليه السلام حوالي ألف امرأة بين حرّة وأمة>>[3]. فمسألة تعدد الزوجات بغير قيد

[1]– ينظر، إيجناس جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، مرجع سابق ص،12.

[2]– ينظر، كارل بروكلمان، مرجع سابق، ص36.

[3]– لخضر شايب، نبوّة محمد صلى الله علي وسلّم، في الفكر الاستشراق المعاصر، مكتبة العبيكة، باتنة، الجزائر، دط، 2001، ص422، 423.

هوقاعدة غالبيّة في الآباء والأنبياء الذين ذكروا في العهد القديم، كما أنّ القديس<<أوغسطين>> قد أباح التسرّي لمن كانت زوجته عقيم، وكان<< لشارلمان>> عدة أولاد شرعيّين من عدّة زوجات وأكّد المؤرخ<<وستر مارك>> بأنّ الكنيسة والدولة كانتا تقرّان تعدد الزوجات حتّى القرن السابع عشر[1].

أمّا الإسلام فقد وضع ضوابطا وأحكاما لمسألة التعدد، ولم يجعلها هكذا فوضويّة أومن دون قيود؛ ومع المبرّرات الكثيرة للتعدد، إلا أنّ العمل بالشروط من الواجبات، بحيث أنّ الإسلام قد رفض رفضا تامّا أن يجعل الرجل من التعدد مجرد امتداد للشهوات والرغبة في التسلط، فإنّ المسؤولية ليست بتلك السهولة التي تتصورها بعض العقول، وإنّ المُتَع الميسّرة تتبعها حقوق ثقيلة، كما وأنّه من أهم الشروط حتى يجوز للرجل أن يمارس التعدّد هوأن يكون قادرا على العدل، أمّا إذا ظلم الرجل نفسه أو أولاده أوزوجاته، فلا تعدد في هذه الحالة[2].

وإنّ تحقق العدل من أثقل الأمور وأصعبها، وهذه النقطة حاول المستشرق المسلم (مراد ويلفريد هوفمان) توضحيها وتأكيدها بقوله:<< كما أكّدتُ للمنصتين أنّه في مجتمع اليوم المتّسم بالحساسيّة الشديدة، يكاد يكون الوفاء بالشروط الواردة في القرآن لإباحة الزواج بأكثر من زوجة استثناءا من الناحية العلميّة، حيث تتنبّأ الآية129 من سورة<<النساء>>: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوحَرَصْتُمْ﴾[3]، وإنّ قدرة الرجل على العدل بين زوجاته كما فيها من قيامه بمسؤوليته، فيها أيضا من الأجر العظيم، ولكن من جهة أخرى، إذا غاب هذا الشرط كان الذنب عظيما عليه أيضا، قال رسول الله

[1]– ينظر، عباس محمود العقاد، الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام، هنداوي، هاي ستريت، المملكة المتحدة، دط، 2017، ص22.

[2]– ينظر، محمد الغزالي، فقه السيرة، دار الكتب الحديثة، دب، ط6، 1965، ص 467، 468.

[3]– مراد ويلفريد هوفمان، مرجع سابق، ص176.

صلى الله عليه وسلّم:<<إنّ الله سائل كل امرىء عما استرعاه حفظ ذلك أم ضيّعه>>، وإذا كان الميل القلبي أمر لا يُتحكم فيه، فإنّ هناك من الأعمال مايستطيع كل زوج أن يقوم ويرعى حدودها الشرعيّة، كما وأنّ القدرة على القيام بالنفقة يعدّ شرطا أساسيّا، كيف لا والشارع يعتبر العجز عن النفقة عذرا في الاقتران بواحدة، فهوبالتالي مانع للزواج بأكثر من واحدة[1].

4- قضية تعدد زوجات الرسول عند المستشرقين

لقد قال المستشرقون في زواج نبي الإسلام أقوالا وألّفوا في ذلك قصصا غريبة<<فقد انتقدوا وبشدة حياة محمد الزوجيّة، وإن كانوا كثيرا مابنوا انتقاداتهم على مبالغات أومزاعم كاذبة>>[2]، كما بالغوا كثيرا في تشويه الحقائق وتزييفها، ومن ذلك قول:(بروكلمان):<<ولم يجز النبيّ لأحد غيره أن يتجوز عددا غير محدود من النساء>>[3].

ونحن نعلم أنّ الله تعالى قد حدّد عدد أزواج نبيّه، فجاء في سورة الأحزاب: {لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ}[4]، فاعتقاد المستشرق (بروكلمان) بعيد كل البعد عن الحقيقة، إنّما هومحض كذب للترويج بأنّ النبي قد اهتم بالنساء والزواج فقط، ومن تلك الأقوال التي تتردد في الغرب، قول (إيميل درمنغهم) << شعر محمد في العقد الأخير من عمره بميل شديد للنساء>>[5]، وهذا كان تفسيرهم وكلامهم إجمالا عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم، دون أن نذكر تلك الأقوال العديدة والجارحة والتي تعفُّ أقلامنا عن كتابتها وإعادة ذكرها.

---

[1]-ينظر، محمد الغزالي، فقه السيرة، مرجع سابق، ص468.

[2]- محمد عبد الله الشرقاوي، مرجع سابق، ص106.

[3]- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص80.

[4]- سورة الأحزاب – الآية52-.

[5]- إيميل درمنغهم، مرجع سابق، 275.

واللواتي تزوّج بهنّ رسول الله ودخل عليهنّ إحدى عشر زوجة: خديجة بنت خويلد، سودة بنت زمعة، عائشة بنت أبي بكر، حفصة بنت عمر بن الخطاب، زينب بنت خزيمة، هند بنت أبي أميّة، زينب بنت جحش الأسدية، جويريّة بنت الحارث، صفية بنت حيي بن أخطب، أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، ميمونة بنت الحارث الهلاليّة، وتوفيت منهنّ اثنتان في حياته، هما خديجة بنت خويلد وزينب بنت خزيمة، رضى الله عنهنّ جميعا[1].

خديجة بنت خويلد وهي أول امرأة تزوج بها النبيّ صلى الله عليه وسلّم، وكانت في الأربعين من عمرها وهوابن خمس وعشرين سنة، وكانت تدعى من قبل البعثة بالطاهرة، رغبت بالزواج منه عليه الصلاة والسلام لما سمعت من أخلاقه، وقد كانت متزوجة قبله مرتين[2].

عاش معها النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى يوم وفاتها على أحسن حال من السيرة الطاهرة والسمعة النقيّة[3]، تقول عائشة رضي الله عنها: كان الرسول الله صلّى الله عليه وسلّم لايكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوما من الأيام، فأخذتني الغيرة فقلت، هل كانت إلّا عجوزا قد أبدلك الله خيرا منها، فغضب، ثم قال:<< والله ما أبدلني الله خيرا منها، آمنت إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستنى بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء>> [4]، فقد

---

[1]–ينظر، أحمد بن عبد العزيز الحصين، الحكمة والبراهين في تعدد زوجات الرسول صلّى الله عليه وسلم ، دار القسم، الرياض، السعودية، ط1، 1996، ص09، 85، 86.

[2]– ينظر، أحمد بن عبد العزيز الحصين، المرجع نفسه، ص11، 12.

[3]– ينظر، عباس محمود العقّاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، نهضة مصر، القاهرة ، مصر، ط5، 2005، ص142.

[4]– أحمد بن عبد العزيز الحصين، مرجع سابق، ص14، 15.

حفظ لها ودّها، وبقي وفيا لعشرتها بعد موتها، متذكرا ومذكّرا بحسن سيرتها وحسن العشرة بينهما، وهذا ليس حال من تزوج امرأة طمعا في مالها وإنما كان زواجا لسبب طبيعي[1]، كان برغبة منهما وقناعة.

يقول (لخضر شايب) إنّ الأسباب التي دعت النبي إلى تعدد الزوجات كثيرة، فمنها أسباب شرعية ومنها الدعوية، والإنسانية إضافة على الأسباب الطبيعية، فكان أن تزوج عليه الصلاة والسلام لأسباب دعويّة إنسانيّة راغبا في حفظ الجماعة المسلمة، أوحمايةً لمسلمات توفي عنهن أزواجهنّ، مثل زواجه من سودة بنت زمعة، وكانت امرأة مسنّة لا كافل لها بعد وفاة زوجها[2]، وهي التي وهبت يومها لعائشة وكانت قد فركت وقلّ ميلها للرجال[3].

وكذا كان زواجه من أم سلمة والتي كانت من المسنّات أيضا بعد أن ترمّلت، وزواجه من أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان والتي ارتدّ عنها زوجها في الحبشة وبقيت وحيدة في هجرتها وليس لها أن تعود لأهلها وهم على كفرهم، ولمثل هذا الغرض الإنساني الذي يدل على رحمة هذا النبيّ زواجه من زينب بنت خزيمة بعد استشهاد زوجها في بدر ومثل ذلك زواجه بحفصة بنت عمر بن الخطاب[4].

ولوكان زواجه رغبة في النساء فقط لتزوج من الأبكار أوصغيرات السن[5]، ولكنّه كما يقول (العقّاد):<< ولم يحدث قط أن اختار زوجة واحدة لأنها مليحة أو وسيمة ولم يَبْنِ بعذراء قط إلا العذراء التي علم قومه جميعا أنّه اختارها لأنها بنت صديقه وصفيّه وخليفته

[1]–ينظر، لخضر شايب، مرجع سابق، ص428.

[2]– ينظر، المرجع نفسه، ص429.

[3]– ينظر، إسماعيل علي محمد، مرجع سابق، ص181، 182.

[4]– ينظر، لخضر شايب، مرجع سابق ص429.

[5]– ينظر، أحمد بن عبد العزيز الحصين، نقلا عن القرطبي، مرجع سابق، ص06.

من بعده: رضي الله عنهما>>[1]، والتي كان في زواجه منها وفي صغر سنّها حكمة بالغة، فإنّه<< لو جمع علم عائشة إلى جميع أمّهات المؤمنين، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل>>[2]، فقد استطاعت أن تحفظ الأحاديث وتتعلم الفقه وهي في بيت النبوّة منذ حداثة سنها، وقد روي عنها هي وحدها(2210) حديثا من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم[3].

ولكن المستشرقين جعلوا من هذا الزواج اتّهاما له أنها صغيرة السن وكان هوكهلا، وتناسوا بأنّ عائشة كانت مخطوبة من قبل، كما أنّها كانت نامية نموّا سريعا[4]، ولم تكن أول ولا آخر صبيّة في تلك البيئة تتزوج ممّن يكبرها سنّا، ولم تندهش مكّة ولا أعداء النبيّ من هذا الزواج، ولو رأو فيه سُبّة في ذلك الزمان لما توانوا عن قذفه به، لكنه كان واضحا بأنّ هذا الأمر كان طبيعيًّا لديهم.

وكما يقول(بودلي):<< وكان المؤرخون ينظرون إلى كل حالة من وجهة نظر المجتمع الذي يعيشون فيه، فلم ينظروا إلى هذا الزواج على أنّه كان ولا يزال عادة آسيوية، ولم يفكروا في أنّ هذه العادة لازالت في شرق أوربا، وكانت طبيعية في إسبانيا والبرتغال إلى سنين قليلة، وأنها ليست غير عادية اليوم في بعض المناطق الجبلية البعيدة في الولايات المتحدة>>[5]، ومن الأنكحة التي يمكن تفسيرها بالعامل الإنساني وكذلك الدعوي، زواجه من بعض النساء وهو يأمل هداية أصهاره مثل زواجه من جويرية بنت

---

[1]– عباس محمود العقّاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، مرجع سابق، ص142.

[2]– أحمد عبد العزيز الحصين، نقلا عن الإمام الزهري، مرجع سابق، ص23.

[3]–ينظر، أحمد عبد العزيز الحصين، المرجع نفسه، ص25.

[4]– ينظر، المرجع نفسه، 26.

[5]– ر. ف. بودلي، الرسول حياة محمد، ترجمة، محمد محمد فرج وعبد الحميد جودة السّحار، مكتبة مصر، مصر، د ط، 1989، ص141.

الحارث والتي كان ارتباطه بها سببا لإسلام أهلها[1]، بعد أن كانت سببا في فكاك قومها من الأسر، وبذلك سنّ النبي صلى الله عليه وسلم سنّة حسنة في عتق الأسرى والسبايا[2].

ومن أمثلة الزواج بغرض إنساني بحت، زواجه من صفية بنت حُيي بن أخطب والتي كانت من سبايا خيبر[3]، فقد خيّرها عليه الصلاة والسلام بين أن يعتقها ويتزوجها أويردها إلى أهلها، فاختارت الزواج منه، ولولا خلقه الرفيع لما علمنا أنّها كانت قصيرة القامة تعيّرها صواحبها بالقصر، ولكنه صلى الله عليه وسلم لما سمع هذا قال ما معناه: إنّك قد نطقت بكلمة لو ألقيت في بحر لكدّرته، وجبر خاطر الغريبة في بيته[4].

و<< هناك زيجات اختصّ بها النبي- صلى الله عليه وسلم- مثل قبوله أن تهب له امرأة نفسها، وذلك مثل حالة ميمونة بنت الحارث>>[5].

وهذه كانت زوجات رسول الله ، وهذه كانت الأسباب التي دعته إلى الزواج منهن، يقول (عباس محمود العقّاد):<< فلا حجّة للمسلم على صدق محمد عليه السلام في رسالته أصدق من سيرته في زواجه وفي اختيار زوجاته، وليس للنبوّة من آية أشرف من آيتها في معيشة نبي الإسلام من مطلع حياته إلى يوم وفاته(...) ولم يكن عسيرا عليه أن يجمع إليه أجمل بنات العرب، وأفتن جواري الفرس والروم على تخوم الجزيرة العربية>>[6]، لكنّه لم يفعل ذلك؛ وإنّما كانت دوافع زواجه كلّها تدلّ على أخلاق عالية ورجل لا ينظر للدنيا

[1]- ينظر، لخضر شايب، مرجع سابق، 429.، 430.

[2]- ينظر، إسماعيل علي محمد، مرجع سابق، ص183.

[3]- ينظر، لخضر شايب، مرجع سابق، ص430.

[4]- ينظر، عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، مرجع سابق، ص143.

[5]- لخضر شايب، مرجع سابق، ص430.

[6]- عباس محمود العقّاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، مرجع سابق، 141.

نظرة من أراد التمتع بملذّاتها، وإنّما تبليغ رسالته للعالمين، وإشاعة الرحمة بين المسلمين، وهذا ما تجلّى واضحا في اختياره لزوجاته.

5- زواج النبي صلى الله عليه وسلّم من زينب بنت جحش عند المستشرقين

أمّا زواجه- صلى الله عليه وسلم- من زينب بنت جحش- رضي الله عنها- فقد حيكت حوله الأباطيل، ورويت الأساطير والمبالغات<< ذهب المستشرقون والمبشّرون، جريا وراء شهوة التشهير -بالنبيّ صلّى الله عليه وسلّم- إلى تصوير زواج النبيّ صلى الله عليه وسلّم من زينب بنت جحش على أنّه كان لشهوة عصفت بالنبيّ صلى الله وسلم، حيث شغف بها وهي تحت مولاه زيد بن حارثة>>[1].

ومن هذا قول(إيميل درمنغهم): ودخل محمد ذات يوم لبيت زيد بن الحارث، وكان زيد غائبا عن بيته، فرأى زينب سافرة وعلى زينتها، فأثّر هذا الجمال الفيّاض في نفسه فقال: سبحان مقلب القلوب، وانصرف[2].

وهكذا ألّفت هذه القصة التي لا صلة بينها وبين أخلاق النبي، والتي تحاول إقناعنا بأنّه عليه السلام قد رأى زينب لأول مرّة، والحقيقة كما يذكرها(عباس محمود العقّاد):<< وماكان جمالها خفيًّا عليه قبل تزويجها بمولاه، لأنّها كانت بنت عمّته يراها من طفولتها ولم تفاجئه بروعة لم يعهدها>>[3].

وهذا كلام وتفسير منطقي، وليس من العاطفة في شيء، فلماذا يصوّر هؤلاء المستشرقون القصة وكأنّ النبيّ قد رآها لأول مرة؟. إلاّ أنّ (لخضر شايب) يلقي اللوم لا

---

[1]- محمد علي إسماعيل، مرجع سابق، ص165، 166.

[2]- ينظر، إيميل درمنغهم، الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة، ترجمة، عادل زعيتر، الشعاع، د ب، دط، 2005، ص276.

[3]- عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، مرجع سابق، ص143.

على المستشرقين وحدهم في تحريف هذه القصّة فيقول:<< يجب أن نعترف بأن الفكر الاستشراقي لم يبتدع هذه الرويات الموضوعة، بل لقد أوردها بعض المفسّرين المسلمين الغافلين فشوّهت قصة زينب رضى الله عنها>>[1].

وهذه الآية التي جعل منها المستشرقون دليلا على صحة ظنونهم، يقول تعالى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾[2]، فلقد فسّرها (الطبري) بأنّ الرسول عليه الصلاة والسلام كان قد رأى زينب بنت جحش وهي متزوجة بزيد بن حارثة، فأعجبته، وألقي في قلب زيد كراهتها، لأنّ الله- حسب تفسير الطبري- قد علم بمحبة رسوله لها، فأراد زيد فراقها، فقال له صلّى الله عليه وسلّم أمسك عليك زوجك، وهو راغب في طلاقها ليتزوجهاهو عليه الصلاة والسلام[3].

وهذا تفسير غريب، والغريب أكثر أن يفسّره إمام مثل(الطبري) وهوتفسير بعيد كل البعد عن أخلاق وصفات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولا يحتاج منّا هذا الأمر أن نكون علماء في معرفة تفسير الآيات والقرآن حتى نستنكر هذه القصّة ونعلم أنّ هناك حلقة مفقودة تحتاج الشرح والتوضيح، وهذا ماكان:<< وقد أفاد بعدم صحة هذه الروايات أئمة الدين، وعلماء الإسلام، ومنهم ابن كثير، والإمام ابن حجر، والإمام ابن العربي المالكي>>[4].

وهكذا نلاحظ أنّ الفئة من المستشرقين التي تقصد التشويه وتزييف الحقيقة إنّما تأخذ بالضعيف من الروايات، وما اتّفق أغلب علماء الإسلام على بطلانه وزيفه ولقد<<

[1]- لخضر شايب، مرجع سابق،ص425.

[2]- سورة الأحزاب-37-

[3]- ينظر، لخضر شايب ، مرجع سابق، ص425، 426

[4]- محمد علي إسماعيل، مرجع سابق، ص176.

قال القاضي، وما وراء هذه الرواية غير معتبر، فأمّا قولهم: إنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم رآها فوقعت في قلبه فباطلٌ؛ فإنّه كان معها في كل وقت وموضع، ولم يكن حينئذ حجاب، فكيف تنشأ معه وينشأ معها ويلحظها في كل ساعة، ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج، (...)، فكيف يتجدد له هوى لم يكن، حاشا لذلك القلب المطهّر من هذه العلاقة الفاسدة>>[1].

ولوأنّه طُرِح هذا الدليل وحده على بطلان وزيف هذه الدعوة لكفى لدحضها وبيان ضعفها، ولكنّه مازال في جعبة العلماء المسلمين مايثتبون به أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم تشهد عليه أخلاقه ومروءته، وليس هو الذي يتمنّى طلاق زوجة من زوجها ليستأثر بها هو.

كما استنكر(محمد الغزالي) وبشدّة هذه الأباطيل الاستشراقيّة، فقال في هذا الموضوع:<<إنّهم يقولون: الذي كان يخفيه النبيّ في نفسه، ويخشى فيه الناس دون الله هوميله لزينب، أي أنّ الله–بزعمهم– يعتب عليه عدم التصريح بهذا الميل! ونقول: هل الأصل الخلقي أن الرجل إذا أحب امرأة لفظ بين الناس مشهّرًا بنفسه وبمن أحب؟ وخصوصًا إذا كان ذا عاطفة منحرفة، جعلته يحبّ امرأة رجل آخر؟ هل يلوم الله رجلا، لأنه أحب امرأة آخر، فكتم هذا الحبّ في نفسه أكان يرفع درجته، لوأنّه صاغ فيها قصائد غزل! هذا والله هوالسفه!>>[2].

ومِن تَرَدُّدِ الرسول صلّى الله عليه وسلّم في الكشف عمّا أعلمه الله من تطليق زيد لزينب، تظهر لنا صعوبة هذه المهمّة وثقلها، وفي هذا يقول (السيد قطب): <<وكانت

[1]– (ابن العربي) أبي بكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، تعليق، محمد عبد القادرعطا، القسم الثالث، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط3، 2003، ص577.

[2]– محمد الغزالي، فقه السيرة، مرجع سابق،ص475.

هذه إحدى ضرائب الرسالة الباهظة حَمَلها رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– فيما حمل؛ وواجه بها المجتمع الكاره لها كلّ الكراهيّة، حتى ليتردّد في مواجهته بها وهو الذي لم يتردد في مواجهته بعقيدة التوحيد، وذمِّ الآلهة والشركاء؛ وتخطئة الآباء والأجداد>>[1].

ولقد كان الرسول – صلّى الله عليه وسلّم– هومن زوّج زينب بنت جحش بزيد بن حارثة، ولكنَّ العشرة بينهما لم تكن على مايرام، فكان زيد يشتكي ذلك للنبيُّ، وكان عليه الصلاة والسلام كل مرة ينصحه بالإبقاء على عشرتها واتّقاء الله فيها، وكان الله قد أعلم رسوله بأنّ زيدًا سيطلق زينب، وبأنّها ستكون زوجا له هو، وهذا الأمر كان له حكمته، كما كان له صعوبته، وتلك الحكمة تجلّت في إرادة الله إبطال عادة وآثار التبنّي، تلك العادة التي كانت شائعة في ذلك الوقت[2].

وهكذا فإنّه قد تبيّن بطلان أدلّة المستشرقين الذين تناولوا هذه القصة بالتهويل والتحريف لغاية في أنفسهم، أوضعف في استنتاجاتهم، فكان رد العلماء المسلمين بالدليل رغم وجود تلك العاطفة في ردّهم، تلك العاطفة التي دفعهم إليها حبّهم لنبيّهم عليه الصلاة والسلام، واستنكارهم للكذب الذي يقال عنه، لكنّها لم تطغ على اتّباعهم المنهج العلميّ والرّد الصريح وتتّبع الأخبار الموثّقة من السيرة والتاريخ.

ثانيا: المستشرقون والسنّة النبويّة

تناول المستشرقون إلى جانب دراستهم للقرآن السنّة النبويّة والأحاديث الشريفة، فكانوا أن اتّجهوا كثيرا إلى<< التشكّيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا المحقّقون، ويتذرّع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وضع ودسّ،

[1]– سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلّد الخامس، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط32، 2003، ص2869.

[2]– ينظر، محمد علي إسماعيل، مرجع سابق، ص172.

متجاهلين تللك الجهود التي بذلها علماؤنا لتنقية الحديث الصحيح من غيره>>[1]، ولهذه الأسباب قام علماء الإسلام بتأليف الكتب ونشر الردود على الشبهات التي يطلقها هؤلاء المستشرقون، كما وأنّه كان من المسلمين أنفسهم من تأثّر بآراء هؤلاء المستشرقين أوعلى الأقل حمل بعض كلامهم وراح يردّده في كتب يؤلّفها هو الآخر.

ولهذا كانت مهمّة المدافعين عن السنّة عبارة عن جبهتي دفاع؛ واحدة للردّ على المستشرقين أنفسهم، والجبهة الثانية للردّ على من والاهم من المسلمين، وكان أبرز من دافع عن السنة وبين مشروعيتها ودحض زعم من شكّك فيها: (مصطفى السباعي) في كتاب السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي،و(محمد بن محمد أبوشهبة) في كتاب ‹‹دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتّاب المعاصرين وبيان الشبه الواردة على السنة قديما وحديثا وردها ردا علميّا صحيحا››، أيضا(الصدّيق بشير نصر) في كتابه ‹‹التعليقات النقدية على كتاب دراسات محمدية››، (محمد لقمان السّلفي) في كتابه ‹‹مكانة السنة في التشريع الإسلامي ودحض مزاعم المنكرين والملحدين››.

وأمّا بالنسبة لمنكري السنّة بطريقة مباشرة أوغيرها والمتأثرين بمزاعم المستشرقين حولها نذكر(محمود أبوريّة) في كتابه‹‹ أضواء على السنة المحمديّة››، (أحمد أمين) في كتابه ‹‹فجر الإسلام››.

[1]– مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم، مرجع سابق، ص28.

1- التعريف بالسنّة النبويّة

1-1- لغة: السنّة جمع سُنن وتعني الوجه أودائرته، وسَنّ فلان طريقا من الخير بمعنى ابتدأ بمعروف لم يعرفه قومه من قبل[1].

1-2- اصطلاحا: ولها ثلاث تعريفات: هي في اصطلاح المحدثين: ما أُثر عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من قول أوفعل أوتقرير أوصفة خلقيّة أوخُلقيّة أوسيرة، سواء قبل البعثة أوبعدها، وهي ترادف بذلك الحديث عندهم.

وفي اصطلاح الأصوليين: ما نقل عنه صلّى الله عليه وسلم من قول أوفعل أوتقرير.

وفي اصطلاح الفقهاء: وهي عندهم ماثبت عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من غير افتراض ولا وجوب، أي أفعال النبي التي لا تخرج عن الدلالة على حكم شرعي[2]، وهكذا نرى في تقسيم العلماء للسنّة من حيث محور الدراسة والبحث في تفسير الأحكام الشرعية.

2- منزلة السنّة من الدّين

للسنّة النبويّة في الدّين الإسلامي مكانة عظيمة، كما لها دور في الأحكام والتشريع، فإنّ<< القرآن الكريم هوالأصل الأوّل للدين، والسنّة هي الأصل الثاني، ومنزلة السنّة من القرآن أنّها مبيّنة وشارحة له تفصّل مُجْمَله، وتوضّح مُشْكله، وتقيد مطلقه، وتخصّص عامّه، وتبسّط مافيه من إيجاز، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيّنَ لِلْنَّاسِ مَانُزّلَ إِلَيْهِم ولعلَّهم يتفكرّون﴾>>[3]، فإذا كانت هذه منزلتها في التشريع الإسلامي، فإنّه

---

[1]- ينظر، لويس معلوف، مرجع سابق، ص353.

[2]- ينظر، مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، دار الوراق، القاهرة، مصر، ط2، 1949، ص65، 66.

[3]- محمد بن محمد أبوشهبة، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين وبيان الشبه الواردة على السنة قديما وحديثا وردها ردا علميا صحيحا، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، دط، 1989، ص11.

بالضرورة وجب الاعتناء بها، والدّفاع عنها وردّ الشبهات والانتقاصات التي تحاك ضدّها، فهي الشارحة لكتاب الله، الميسّرة للوصول لفهمه واستنباط الأحكام استنادا ورجوعا إليه.

3- قضايا المستشرقون في تناول السنّة

3-1- قضية التشكّيك في السند

تعرَّض المستشرقون لمصداقيّة الأحاديث النبويّة، وكان أكثرهم خطرا، وأوسعهم باعا وأشدّهم خبثا كما يقول(مصطفى السباعي) هوالمستشرق(جولدتسيهر)، والذي أفسد في هذا الميدان، وعُدَّ شيخ المستشرقين في الماضي[1].

وجولدتسيهر أوّل مستشرق يقود محاولة بثّ الشكوك في صحة وسلامة الأحاديث النبويّة[2]، حيث يقول: << فالحقُ أنّ كل فكرة، وكل حزب، وكل صاحب مذهب، يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل، وأنّ المخالف له في الرأي يسلك أيضا هذا الطريق، ومن ذلك لا يوجد في دائرة العبادات أوالعقائد أوالقوانين الفقهيّة أوالسياسيّة مذهب أومدرسة لا تعزّز رأيها بحديث أوبجملة من الأحاديث ظاهرها لا تشوبه أيَّة شائبة>>[3].

أي إنَّ هذه الأحاديث الموجودة عندنا في الصّحاح ماهي إلّا تلفيق منسوب إلى النبيّ، وكذلك يقول مثل هذا(كارل بروكلمان):<< ولكنَّ القسم الأعظم من الحديث المتّصل بسَّنة الرسول لم ينشأ إلاَّ بعد قرنين من ظهور الإسلام، ومن هنا تعيَّن اصطناعه كمصدر لعقيدة النبيّ نفسه في كثير من الاحتياط والحذر>>[4]، وهكذا كان وضع المسلمين للأحاديث حسب(بروكلمان)، بحيث نسب إليهم إلتماسهم الحيطة في اختراع

---

[1]- ينظر، مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص213، 214.

[2]- ينظر، أكرم بلعمري، القراءة الاستشراقية للنص النبوي ، الدكتور محمد بن شنب والاستشراق، مرجع سابق، ص192.

[3]- إيجناس جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، مرجع سابق، ص50.

[4]- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص71.

الأحاديث والكذب فيها، وبالتالي نفى عنهم الصّدق في نقل هذا الدّين كماجاء، بل إنَّ (جولدتسيهر) يرى أنَّ هذا الوضع في الأحاديث كان وراءه عدم اكتمال الدّين بحدِّ ذاته، فاعتمد المسلمون على ثقافتهم المشتركة وأفكارهم المستمدّة من الأنصار والأوائل وألفّوا أحاديثا يسدُّون بها ما كان في التعاليم النبويّة من ثغرات[1].

وهكذا كانت نشأة الأحاديث منذ العصر الأموي، وذلك عندما اشتدَّت الخصومات بين الأمويّين والعلماء الصالحين، الذين حسب (جولدتسيهر) راحويخترعون الأحاديث في سبيل مكافحة الحكومة الأمويّة والخروج عن الدين[2]، حيث يقول:<< فأيُّ شيء يبدو للأتقياء مرغوبا فيه يمنحونه سندا يرفعه إلى النبيّ>>[3]، وإنّه لمن الغريب الذي يستنكره العقل أن يوصف التقيّ بأنّه كاذب ويضع الأحاديث، فهل يكذب التقيُّ؟ والتقيُّ هوأصلا من صان نفسه عن الرذائل[4].

وإنّ هاتين الصفتين لا تلتقيان أبدا، فإن كانوا هم علماء الإسلام فإنّهم لابدّ ويعرفون تحريم الكذب، وبالتالي لا يمكنهم خلق أحكام وأحاديث نبويّة من أجل دين يحرّم عليهم ذلك، وإن لم يكونوا بأخلاق الإسلام فيكذبون في الدين فإنَّ الإسلام بريء منهم ومن أفعالهم.

ويقول(مصطفى السباعي) في اتّهام (جولدتسيهر) للأتقياء من العلماء بالكذب: << وهو قول من لم يصل ولن يصل إلى مدى السموّ الذي يتّصف به علماؤنا الأثبات، والمدى الذي وصلوا إليه في الترفّع عن الكذب حتّى في حياتهم العاديّة، ولا مبلغ الخوف الذي استقرَّ في نفوسهم بجنب الله خشية ورهبة، ولا مدى استنكارهم لجريمة الكذب على

[1]– ينظر، إيجناس جولدتسيهر، مرجع سابق، ص77.

[2]– ينظر، محمود حمدي زقزوق، مرجع سابق، ص124.

[3]– نقلا عن إيجناس جولدتسيهر، الصديق بشير نصر، مرجع سابق، ص179.

[4]– ينظر، الصديق بشير نصر، المرجع نفسه، ص178.

رسول الله صلّى الله عليه وسلم، حتى قال منهم من قال بكفر من يفعل ذلك وقتله وعدم قبول توبته>>[1]، كما ويذهب المستشرق (شاخت) مذهب (جولدتسيهر) في الطعن في إسناد الأحاديث عند المسلمين، حيث يقول:<< وقد أورد المحدّثون أخبارا مفصّلة أو أحاديث زعموا أنّها شهادات سمعيّة أوبصريّة لأقوال الرسول أو أفعاله نقلت بإسناد أشخاصٍ أهل ثقة>>[2].

والحقيقة أنَّ للإسناد عند المسلمين وزن عجيب ومكانة كبيرة، لا مجاملة فيها، وأنّه ليس في دين من الأديان ولا مذهب من المذاهب هذا الحرص الشّديد على اخضاع المرويات لثقات الرجال وتواتر الأحاديث حتّى تنسب لقائلها[3]، أم أنَّ هؤلاء المستشرقين يحسبون أنّ أمّة كاملة قد اجتمعت على الكذب في أسماء الرجال والرواة وأخلاقهم؟، فإن كان هذا ظنهم فإنّه المغالاة والتطرّف في الرأي.

وكما يقول(محمد الغزالي) في دحض هذه الأباطيل الاستشراقية:<< إنّ محمدا ظلّ قرابة ربع قرنٍ يعظ الناس، ويعلّمهم، ويربيّهم، ويفتيهم، ويبصّرهم بما يدَعون وبما يفعلون، وكان عمله وقوله بداهة يسيران بين يدي الوحي النازل عليه من السماء، وهذا التراث من الأقوال والأعمال تلقّفه المسلمون بعناية، ونقدوه بحكمة، والموازين التي وضعوها لقبول السنن ورّدها لا تعرف الدنيا أدقّ منها ولا أعدل>>[4]، وهكذا فإنّ الجيل الذي ربّاه محمد صلى الله عليه وسلم كان أبعد ما يكون عن الكذب والتلفيق، إنّما نقل رسالته بصدق وعدل لكل الأمصار.

---

[1]– مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص226.

[2]– جوزيف شاخت، مدخل إلى الفقه الإسلامي، تر، حمادي ذويب، المدار الإسلامي، ط1، 2018، ص54.

[3]– ينظر، محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين مرجع سابق، ص60.

[4]– محمد الغزالي، المرجع نفسه، ص 49.

3-2- نظرية نقد الحديث عند المسلمين

كان من أخطر الاتّهامات التي ساقها المستشرقون في طعنهم في صحة الأحاديث النبويّة وعلى رأسهم (جولدتسيهر)؛ هي ضعف وهشاشة نظرية نقد الحديث عند المسلمين، وبأنّها لا ترقى للعلميّة التي يستلزمها الأمر[1]، بيدَ أنّ كلّ الدلائل تقودنا لاعتقاد العكس من قول هذا المستشرق، بل إنّ جهودهم تعطينا الحقّ في الجزم بأنّ علماءنا هم أول من وضع قواعد النّقد العلمي الدقيق للأخبار والمرويات[2]، فاتّبعوا قواعد صارمة وشروطا واضحة لغربلة الصحيح والموضوع فكان جهدا مكلّلا بالنجاح، ولقد اتبعوا في سبيل ذلك الخطوات الآتية:

أولا: إسناد الحديث: يقول (مصطفى السباعي) أنّ الصحابة لم يكن يشكّ بعضهم في بعض، ولا التابعين الذين كانوا يقبلون الأحاديث عنهم، إلى أن وقعت فتنة اليهودي عبد الله بن سبأ والذي نادى بألوهية علي رضي الله عنه، وهنا أخذ الدسّ على السنّة يربو عصرا بعد عصر، عندها بدأ العلماء من الصحابة والتابعين يتحرّون في نقل الأحاديث، ولا يقبلون منها إلّا ماعرفوا طريقها وروّاتها وتأكّدوا من ثقتهم وعدالتهم[3].

ولقد وجاء عن (ابن سيرين) أنّه قال << لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمّو لنا رجالكم، فيُنظَر إلى أهل السنّة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم>>[4]، وقد بدأت هذه المرحلة من التثبّت منذ عهد صغار الصحابة الذين

---

[1]- ينظر، محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين،مرجع سابق، ص49.

[2]- ينظر، إيجناس جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام ، مرجع سابق ص50.

[3]- ينظر، مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص108.

[4]- أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النّسابوري، نقلا عن ابن سيرين، صحيح مسلم، الجزء الأول، دار الحديث، مصر، ط1، 1991، ص15.

تأخّرت وفاتهم عن زمن الفتنة[1]. وفي أهميّة الإسناد يقول (عبد الله بن المبارك):<< الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء>>[2]، وهذه كانت بداية السؤال عن الإسناد وجعله وسيلةً لمعرفة صحيح الحديث من فاسده ممّا يرويه الرجال حتى يعرف عمّن يؤخذ الحديث.

ثانيا: التوثّق من الأحاديث: لقد كان من عناية الله بسنّة نبيّه أن مدّ في أعمار عدد من الصحابة وفقهائهم، فكانوا مرجعا موثوقا للسؤال عن الأحاديث ومراجعتها، فكان من يريد السؤال أو سماع حديث أو التوثيق منه يسافر من مصر إلى مصر فيسأل الصحابي عنه[3].

ثالثا: نقد الرواة: قام المحدّثون بنقد الرجال المسلمين الذين يروون الأحاديث، وكان منهم الآلاف، فأصّلوا أصولا متينة لقبول الحديث وردّه، وجرّحوا دون الخوف من لومة لائم وكشفوا الخبايا فلم يهابوا أحدا، وألّفوا كتب علم الجرح والتعديل وذكروا أسماء الواضعين والكاذبين، ونقدوا الأحاديث وبيّنوا موضوعها من صحيحها، وكذلك بحثوا في كل ضعيف ذاكرة أوضعيف رواية [4].

رابعًا: وضع قواعد عامة لتقسيم الحديث وتميّزه: فقسّموا الحديث إلى ثلاث: صحيح، حسن، ضعيف[5]، وهذه كانت بداية نقد وتمحيص الأحاديث وشروط قبولها، ورغم هذا يشكّك المستشرقون من أمثال (جولدتسيهر) أو(شاخت) في قدرة علماء المسلمين على نقد

---

[1]– ينظر، مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي،مرجع سابق، ص109.

[2]– أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري، مرجع سابق، ص15.

[3]– ينظر، مصطفى السباعي،السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص109.

[4]– ينظر، محمد لقمان السّلفي، مكانة السنة في التشريع الإسلامي ودحض مزاعم المنكرين والملحدين، دار الداعي، الرياض، السعودية، ط2، 1999، ص219.

[5]– ينظر، مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص112.

الرجال والرواة وصحة الأحاديث التي مرّت بكل هذه الغربلة حتّى عرف صحيحها من موضوعها وجمعت ودوّنت، ثم تلتها مرحلة غربلة ما جمع، وفي هذا يقول (الرافعي) : << ولما كانت الأحاديث معروفة، وكان لا مطمع لمتأخّر أن يستدرك شيئا منها على المتقدّمين، انصرفت عناية العلماء من المتأخرين إلى تمحيص مايروى، وتصحيح الأمّهات المكتوبة: كالموطأ وصحيح البخاري ومسلم، وضبطها بالرواية عن مصنّفيها والنظر في أسانيدها إلى مؤلفيها>>[1].

فلم يترك العلماء المسلمون لاالمتقدّمين منهم ولا المتأخرين فرصة للواضعين للنّيل من السنّة، بل تابعوا إسنادها وتدوينها، ثم زيادة الفحص والتدقيق حتى بعد التدوين.

ولقد اهتمّ العلماء المسلمون بمسألة نقد السند والمتن باعتبارهما علامتين للتحرّي من صحة الحديث، وبهما يمكن كشف الموضوع من الصحيح و السليم، وإنّ<< نقد السند هو أشقّ بكثير جدا من نقد المتن لأنّ الأوّل يحتاج إلى علوم شتّى كعلوم الرجال، والجرح والتعديل، وعلم العلل، بينما لا يحتاج نقد المتن إلى أكثر من ذهن متفتّح وعقل متّزن>>[2].

وكما كانوا قد وضعوا للسند شروطا أساسية لفحص الحديث ونقده، فقد اشترطوا في هذا السند وجود مقوّمات مثل العدالة والقدرة على الضبط والحفظ والسماع، وهذا في كل راوٍ في السلسلة إلى أن يصل إلى الصحابي[3]، ومن شروط السند أيضا:

– ألّا يوافق الحديث الذي رواه مذهبا يدعو إليه إن كان داعية.

[1]– مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، هنداوي، القاهرة، مصر، د ط ، 2012، ص251.

[2]– الصديق بشير نصر، مرجع سابق، ص359.

[3]– ينظر، مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص301.

– ألّا يكون ناشئا عن باعث نفسي لصالح الراوية، حتى أنّهم اعتبروا من الجرح الذهاب إلى بيت الحكام، حتى لا يكون هناك تأثيرات نفسيّة على الراوية، وهذا مايؤكّد حرصهم على علم الرجال والبحث في حياتهم، حتى أنّهم ألّفوا في الثّقات والضّعاف ولم يخافوا التشهير أوالتجريح[1]، أمّا بالنسبة للنّقد الداخلي ،أي نقد المتن فقد اشترطوا فيه:

– ألّا يكون ركيك اللفظ فاسد المعنى مخالفا لبدهيات العقول وما جاءت به العقيدة.

– ألّا يشمل على مبالغات في الثواب والعقاب.

– ألّا يأتي مخالفا لحقائق تاريخية وقعت في عهد النبوّة[2].

3-3- قضية الاختلاف في الحديث

طرح المستشرقون قضية وجود اختلافات في الأحاديث النبويّة، وبالتالي اعتقدوا أنّها حجة كافية للطعن في السنّة [3]، لكن كان على (جولدتسيهر) وأمثاله أن يبحثوا في مصادر الحديث الإسلامية حتى يعلموا أن العلماء المسلمين قد قاموا بدراسة هذه القضية منذ القديم، و إنّ الأسباب التي دعت إلى اختلاف بعض الأحاديث لخصّها (مصطفى السباعي) كالآتي:

– تعدد وقوع الفعل الذي حكاه الصحابي مرتين في ظرفين مختلفين.

– أن يفعل النبي الفعل على وجهين، وذلك إشارة إلى الجواز، فيروي منه صحابي ماشاهده في الحالة الأولى، ويروي الصحابي الثاني ما شاهده في الحالة الثانية، كأحاديث عدد ركعات صلاة الوتر، وبأنّها سبع أوتسع أوإحدى عشر.

---

[1]– ينظر، محمد بن محمد بن شبهة، مرجع سابق، 30، 31.

[2]– ينظر، مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الاسلام، ص301، 302.

[3]- ينظر، إيجناس جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، مرجع سابق، ص 50.

– قد يرى الصحابة فعلا من رسول الله فيختلفون في تأويله، مثل اختلافهم في حجة الرسول، هل كان فيها قارنا أومنفردا أومتمتعا، وهذا لأنّ النيّات لا يطّلع عليها الناس، وبالتالي يجوز تفسيرها على فهم الصحابة.

– ومنها اختلاف الصحابة في معرفة الحكم بين الاستحباب والوجوب.

– وهناك أحكام تنسخ أحكاما أخرى، فيكون الصحابي الرواي للحديث قد سمع الحديث قبل نسخه فيرويه كما سمعه، ويروي صحابي الحديث الجديد الذي سمعه بعد النسخ[1].

ويدعم القول بقوة الأحاديث النبويّة(محمد لقمان السلفي) بقوله:<< ثم إنّ هذا الخلاف لم يكن في أمور الدين والعقيدة ولا في أركان الإسلام وإنمّا كان في أمور فرعيّة. وإذا كانت قد ظهرت آراء تمسّ العقيدة فقد تبرأ منها العلماء المخلصون ومن معتنقيها ونفوهم عن حظيرة الإسلام>>[2].

هذا يدلّ على معرفة علماء الحديث بأدّق تفاصيل الوضع ومحاولات التزييف ضدّ الأحاديث النبويّة، لذلك أحاطوا علما بأسابها وشبهاتها، كما أحاطوا بعوامل القضاءعليها.

3-4- المستشرق شاخت والشريعة الإسلاميّة

تطرّق المستشرق (جوزيف شاخت) لموضوع السنّة النبويّة، ولكنه حاول دراسة الموضوع من ناحية الشريعة والفقه الإسلامي، وقد استطاع أن يأتي بنظرية جديدة رغم أنّها خياليّة، وصاغ نظرياته ونشر كتبه ومقالاته بعدة لغات[3]، محاولا ومستعينا بكلّ جهده من أجل دحض فكرة أنّ للمسلمين شريعة جاءت عن طريق الوحي أولا، حيث يقول:<<

[1]– ينظر، مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص229.

[2]– محمد لقمان السّلفي، مرجع سابق، ص273، 274.

[3]– ينظر، محمد مصطفى الأعظمي، المستشرق شاخت والسنة النبوية، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية، ج1، تونس، دط، 1985 ، مرجع سابق، ص67.

ولم ينشأ هذا الفقه عن طريق عمليات عصيّة على التعقّل تستند إلى الوحي المتواصل، وإنّما عير طريقة عقليّة في التأويل>>[1].

كما يري (شاخت) بأنّه من الاستحالة أن نَعُدَّ الأحاديث النبوية صحيحة وخاصة ما تعلّق منها بالجانب التشريعي، فهي لم تظهر حسب اعتقاده إلا في بداية النصف الأول من القرن الثاني[2]. كما أنّه يقول: << ويعدّ تشريع الرسول تجديدا لقوانين الجزيرة العربية، ولم تكن لمحمد دوافع قويّة لتغيير القانون العرفي المعمول به، ولم تكن غايته بوصفه نبيّا إنشاء نظام تشريعي جديد>>[3].

والذي يقصده بقوانين الجزيرة العربيةهي القوانين أوالشرائع الوثنيّة قبل الإسلام، فيرى أنّ الرسول اقتبسها وجعل منها سنّة، كما وأنّه حسب رأي هذا المستشرق فإنّ النبيّ لم يكن يفقه التشريعات، ويرى(محمد مصطفى الأعظمي) أنّ الغاية وراء هذا التصريح بأنّ النبيّ لم يكن مكترثا بالتشريع، وعدم صحة ولوحديث واحد من الأحاديث، خاصة الفقهيّة:

<<1- مطالبة الشعوب ورغبة الحكام في العودة للشريعة الإسلاميّة كلام فارغ لأنّ الشريعة في حقيقتها خارجة عن نطاق الدين.

2- ما يسمّى بالفقه الإسلامي، ليس هو الفقه الإسلامي المبني على كتاب الله وسنّة رسول الله، لأنّه لا يوجد ما يمكن تسميته سنة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، بل إنّ جزءا غير قليل من الفقه الإسلامي مأخوذ من شرائع اليهود والكنيسة وديانات أخرى عدا اجتهادات المجتهدين، وعلى هذا يمكن للمسلمين أن يقتبسوا من القوانين الوضعيّة الغربيّة

[1]- جوزيف شاخت، مدخل إلى الفقه الإسلامي، تر: حمادي ذويب، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2018، ص15.

[2]- ينظر، جوزيف شاخت، المرجع نفسه، ص 15.

[3]- ينظر، المرجع نفسه، ص 26.

ما أرادوا دون أن يشعروا بأدنى ضيق من مخالفتهم لدينهم>>[1] ، وهكذا نصطدم ببحوث المستشرقين الخالية من الانصاف والبعيدة عن العلميّة، بحوث استشراقية لها هدف واحد ألا وهو تفكيك أواصر الأمّة العربية والتشكيك في دينها ومقوماتها، وعزلها عن أصلها وتاريخها، وبث الريبة في كل ما تعتزُ به، وإذا كانت رؤية واستنتاجات (شاخت) تقوده إلى أنّ الشريعة الإسلامية لا علاقة لها بالدين، كيف يفسّر الأحكام التي جاء بها القرآن

وأوردتها السنّة بالشرح والتأويل، وهذا الجدول يعطينا الدليل حول أنّ تشريعات القرآن

التشريعـــــات	العبـــــادات	الجهاد القانوني الدولي	النظام الاجتماعي	الأطعمة والأفرشة	البيـــــوع	الجنـــــايات	القضـــــاء	الشهـــــادات	عقوبات مالية والبدنية
مجوع أحكام الموضوع في السور القرآنيّة	89	74	121	40	13	09	16	07	24

[1]– ينظر، محمد مصطفى الأعظمي، مرجع سابق، ص69، 70.

الكريم قد شملت عموم جوانب الحياة[1]:

ومن هذا الجدول يمكن الملاحظة بوضوح قدر ذكر الأحكام التشريعية في مختلف مجالات الحياة، وكما يقول(محمد الغزالي): << فالفقه الإسلامي يستقى أولا وآخرا من الوحي، وقد أمدّه الكتاب والسنّة بأحكام كليّة وجزئيّة لا تحصى، أحكام تتناول الانسان من نعومة أظفاره إلى مثواه الأخير، فمن ساعة الميلاد إلى حين التكفين، توجد نصوص فقهيّة تحدد العمل الواجب. ومن يقظة الانسان مع الفجر إلى هجعته في فراشه، ومن صلته بجاره إلى اتّفاقه مع غيره على تنصيب رئيس الدولة>>[2].

فرؤية المستشرق(شاخت) القاصرة عن معرفة أنّ المسلمين جميعهم صغيرهم وكبيرهم، فقيهم وجاهلهم؛ يعلمون جميعا بأنّ الأحكام والقوانين الشرعيّة لهم مستنبطة من القرآن كمصدر أوّل للتشريع الإسلامي، ومن السنّة كمصدر ثاني، والله تعالى يقول:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وورود كلمة (الشريعة) في القرآن يبرهن على أنّ التشريع أمر إلهي في هذا الدين[3].

ويضيف (محمد لقمان السلفي) أهدافا أخرى لهذه الحرب على السنة النبويّة، سواء من المستشرقين، أومن المنتسبين للإسلام المنكرين للسنة:

– الحديث النبوي بيان وتفسير للقرآن الكريم، فإذا تم استبعاد السنة عنه أصبح المسلمون يتخبّطون في جهل بعدم معرفة معنى أحكام القرآن[4]. فالقرآن الكريم أكثر أحكامه من

[1]– ينظر، محمد مصطفى الأعظمي، مرجع سابق، ص 77.

[2]– محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، مرجع سابق، ص67.

[3]– ينظر، محمد إبراهيم محمد نور عبد اللطيف الخليفة، آراء المستشرق جوزيف شاخت حول حجية السنةالنبوية من خلال كتابه أصول الشريعة المحمدية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، قسم الاستشراق، شهادة ماجيستير، 1997، ص81.

[4]– ينظر، محمد لقمان السلفي، مرجع سابق، ص247.

الكليات والعموميات، وبالتالي فهي بحاجة للتفسير والتاويل من مبلّغ الرسالة صلى الله عليه وسلّم مثل: الصلاة، رغم أنّها من أركان الدين الإسلامي، وتكرّر الأمر بالقيام بها عشرات المرات، ولكنّ القرآن لم يبيّن للأمّة كيفية إقامتها، وهنا كان دور السنّة في توضيح الطريقة قولا وفعلا، وهذا لا يدل إلّا على ضرورة ومكانة السنة في التشريع الإسلامي[1].

– محاولة التشكيك في رسالة النبي صلى الله عليه وسلّم وبأنّه لم يكن إلّا مبلّغا للقرآن، وانتهت مهمّته بنزول القرآن كلّه.

–التشكيك في قيمة الفقه الإسلامي.

– تضييق دائرة الإخاء الإسلامي، وذلك بفقد رابطة الهدي النبوي التي تجمعهم وتقوّي العلاقات بين المسلمين وتدعوا للوحدة والأخوة الإسلامية[2]، ومن هذا تظهر مكانة السنة في التشريع الإسلامي وأهميتها عند المسلمين كمصدر تشريعي موثوق لا يسمح بالطعن فيه.

4– السنّة عند تلاميذ المستشرقين من المسلمين

وإذا كان المستشرقون قد قالوا كلمتهم في التكذيب والتشكيك في الأحاديث والسنّة النبويّة، وإذا كان من جهة أخرى قد دافع علماء الإسلام عنها، وردّوا عن شبهاتهم ودحضوها، فإن هناك فئة أخرى، ليست من هؤلاء ولا من أولئك، فئة تقول بانتمائها للإسلام ولكن تفكيرها ومبادئها وشكوكها استشراقيّة.

[1]– محمد مصطفى الأعظمي، مرجع سابق، ص66.

[2]– ينظر، محمد لقمان السلفي، مرجع سابق، ص247، 248.

هذه الفئة أثارت الكثير من الشبهات والبلبلة في الوسط الإسلامي بسبب تفكيرها الخارج عن إجماع الأمّة الإسلاميّة، ومن هؤلاء نذكر:(محمود أبورية) في كتابه أضواء على السنّة المحمديّة، و(أحمد أمين) في كتابه فجر الإسلام، << أمّا الشبهات التي يثيرونها غالبا فهي حول عدالة الصحابة وكتابة الحديث والرواية بالمعنى وكون نقد المحدّثين مقصورا على المتن وأمثالها من الشبهات المتداولة بين الفئات الضالّة>>[1]، ويبدو واضحا من هذه المزاعم أنّها محض ترديد لما قاله فئة المستشرقين الذين شكّكوا في صحة الحديث.

4-1- محمود أبورية ونقده لأبي هريرة

ذكر(أبورية) في كتابه الكثير من الشبهات حول صحة الحديث النبوي وتمحيصه بزعمه، ويبدوأنّ (أبا رية) قد علم مكانة الصحابي(أبا هريرة) في رواية الأحاديث، فوجّه إليه سهاما كثيرة<< حول احتقاره وازدراء شخصيته واتّهامه بعدم الإخلاص في إسلامه وعدم الصدق في حديثه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وحبّه لبطنه وللمال وتشيّعه لبني أميّة>>[2].

ونظرا لأهمية ورواية (أبي هريرة) في السنّة فإنّ الطعن فيه يعدُّ هدما لصرح الأحاديث النبويّة، ولهذا يقول (مصطفى السباعي) << وأشهد أن <<أبا رية>> كان أفحش وأسوأ أدبا من كل من تكلّم في حقّ أبي هريرة من المعتزلة والرافضة والمستشرقين قديما وحديثا، ممّا يدلّ على دخل وسوء عقيدة وخبث طويّة>>[3]، وبما أنّ شبهات(أبورية) حول

[1]- المرجع نفسه، ص300.

[2]- مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في الشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص353.

[3]- المرجع نفسه، ص353.

الحديث عامّة وحول أبي هريرة خاصّة كثيرة متعدّدة، نكتفي في بحثنا هذا بطعنه في صدق هذا الصحابي وفي شبهة كثرة مروياته عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

انتقد (أبورية) كثرة الأحاديث التي رواها أبو هريرة، والتي بلغت 5374 حديثا، رغم أنّه لم يصحب رسول الله إلاّ عاما وتسعة أشهر، كما يذكر أنّ عمر بن الخطاب كان قد منعه من رواية الأحاديث[1]، و يدافع (مصطفى السباعي) عن الصحابي أبي هريرة، ويردّ على جميع شبهات (أبي ريّة)، وفي قضية كثرة الروايات يقول:<< ولا شكّ في أنّ المتفرّغ للشيء، المهتمّ به، المتتبّع له، يجتمع له من أخباره والعلم به في أمد قليل، ما لا يجتمع لمن لم يكن كذلك(...) المهم عندنا هو الصدق، وصدق أبي هريرة لم يكن محل شكّ من إخوانه من الصحابة ولا من عند معاصريه وتلاميذه التابعين، هذا هوحكم التاريخ الصحيح الصادق، وكل مايحكيه أبوريّة من تكذيب بعض الصحابة أوشكّهم في (صدقه) فكذب مفضوح مستقى من كتب يستحي طالب العلم أن يراعي أنّها «مصادر علمية» >>[2].

وفي قصة حدثت بين أبي هريرة ومروان بن الحكم حول دفن الحسن مع رسول الله جاء في البداية والنهاية:<< فأقبل عليه مروان مغضبًا فقال: يا أبا هريرة إنّ النّاس قد قالوا إنّك أكثرت على رسول الله(ص) الحديث، وإنّما قدمت من قبل وفاة النبي (ص) بيسير، فقال أبوهريرة: نعم! قدِمت ورسول الله (ص) بِخَيْبَرَ سنة سبع، وأنا يومئذ مقل، وأصلّي خلفه وأحج وأغزو معه، فكنت والله أعلم النّاس بحديثه، قد والله سبقني قوم بصحبته والهجرة إليه من قريش والأنصار، وكانوا يعرفون لزومي له فيسألونني عن حديثه، ومنهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير>>[3].

---

[1]– ينظر، محمود أبورية، أضواء على السنة المحمديّة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط6، 1994، ص175.

[2]– مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص378.

[3]– أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، الداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، د ط، 1992، ص108.

أمّا زعمه أنّ عمر بن الخطاب قد نهى أبا هريرة عن رواية الأحاديث، فإنّ (أبا رية) يخلط في كلامه، فإن (مصطفى السباعي) يؤكّد أنّ النّهي لم يكن موجّها لأبي هريرة، إنّما كان موجّها لكعب الأحبار بترك الأحاديث عن بني إسرائيل وأخبارهم، لا بترك أبي هريرة لرواية الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[1].

وفي الكلام عن أبي هريرة رضي الله عنه وتجريح (أبي ريّة) في (أبي هريرة)، يقول (محمّد بن محمد أبوشهبة):<< وقد أَسَفَّ هذا الدَّعيّ إسفافًا بلغ حد السّباب والفحش في القول في تناوله للصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الحقّ أنّ المستشرق اليهودي جولدتسيهر، في نقده لهذا الصحابي الجليل كان أعفّ منه في النقد، وآدب منه في القول، ولم يُسِفَّ إسفاف أبي رية >>[2]، وهكذا ولد للفكر الاستشراقي أبناءه من الشرقيّين الذين كانوا أشدّ ضلالا من معلّميهم.

4-2-أحمد أمين وقضية وضع الأحاديث ونقد السند والمتن فيها

تناول (أحمد أمين) في كتابه <<فجر الإسلام>> موضوع الأحاديث النبويّة، وتعرّض لعدة قضايا كان قد تناولها المستشرقون من قبل، مثل قضية تدوين الأحاديث وقضية الوضع وأسبابه، كما أنّه طرح مسألة جهود العلماء في مقاومتهم لوضع الأحاديث، وتناول أيضا نقد السند والمتن عند نقاد الحديث.. وغيرها من القضايا[3].

لقد أورد عدة آراء تثير الشكّ في صحة الأحاديث وفي صحة السنة النبوية، منها: أنّه نسب الوضع في الحديث إلى عهد رسول الله فقال: << ويظهر أنّ هذا الوضع حدث

[1]- ينظر، مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص179.

[2]-محمد بن محمد أبوشهبة، مرجع سابق، ص376.

[3]- ينظر، مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في لتشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص264، 265.

حتى في عهد الرسول، فحديث <<من كذب عليّ متعمّدًا فليّتبوأ مقعده من النار>>، يغلب على الظن أنّه إنّما قيل لحادثة حدثت زوّر فيها على الرسول>>[1].

وكان من أبرز من ردّ عليه(مصطفى السباعي) الذي حارب هذه الشبهات وحطّم صنم الاستشراق الذي كان يُعبد في البلاد العربيّة[2]، وقال بخصوص ما طرحه(أحمد أمين) في قضية الوضع: <<وهذا الذي استظهره لا سند له في التاريخ الثابت، ولا في سبب الحديث المذكور كما جاء في الكتب المعتمدة. أمّا التاريخ، فقاطع بأنّه لم يقع في حياة الرسول أنّ أحدا ممّن أسلم وصحبه زوّر عليه كلامًا ورواه على أنّه حديثه عليه الصلاة والسلام، ولو وقع مثل هذا لتوافر الصحابة على نقله لشناعته وفظاعته، كيف وقد كان حرصهم شديدًا على أن ينقلوا لنا كل ما يتّصل به صلّى الله عليه وسلّم حتّى مشيته وقعوده، ونومه ولباسه، وعدد الشعرات البيض في رأسه الشريف؟

وأمّا الحديث المذكور فقد اتّفقت كتب السنّة الصحيحة المعتمدة على أنّ الرسول إنّما قاله حين أمرهم بتبليغ حديثه إلى من بعدهم.>>[3]، كما وطرح (أحمد أمين) قضية نقد السند والمتن فقال:<<وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها، ولكنّهم، والحق يقال–عنوا بنقد الاسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن>>[4].

وكلامه هذا لايورد في الذهن إلّا التشكيك في حرص العلماء على التوثيق للأحاديث، وبالتالي يورد احتمالات أحاديث مكذوبة ومدسوسة على أنّها صحيحة، كما أنّ هذا الكلام يطعن في جهد العلماء في حفظ الأحاديث والسنّة، ولذلك يرّد عليه (السباعي) ويستنكر قوله، بحيث أنّ كل القواعد التي وضعها العلماء لنقد الحديث متنه وسنده لم

[1]– أحمد أمين، فجر الإسلام، هنداوي، القاهرة، مصر،، د ط،، 2012، ص231.

[2]– ينظر، محمد لقمان السلفي، مرجع سابق، ص300.

[3]– مصطفى السباعي، السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص266، 267.

[4]– أحمد أمين، مرجع سابق ،238.

تعجب صاحب<<فجر الإسلام>>، ويري بأنّ هذا راجع إلى أنّها لم تعجب من قبل أساتذته المستشرقين[1]، فَرَاحَ هوالآخر يردد ما استطاع من كلامهم، وينتقص من جهد علماء الإسلام في النقد والتمحيص للسنة النبويّة.

وإن كان المدافعون عن السنة من كلام (أبي رية)، (كمحمد بن محمد أبوشهبة) و(محمد لقمان السلفي) قد اتّفقا على خبثه، إلاّ أنّهما اختلفا في الحكم على (أحمد أمين) حيث يقول(أبوشهبة):<< إن بعض الباحثين المسلمين الذين كتبوا في الحياة العقليّة عند المسلمين وفي تاريخ العلوم الإسلامية ونشأتها وتطورها قد تابعوا المستشرقين في كثير ممّا كتبوا، وخالفوهم في بعض ماقالوا وناقشوهم مناقشة جادة نافعة وذلك كما فعل الأستاذ أحمد أمين في كتبه << فجر الإسلام>> و<<ضحاه>> وبذلك خلطوا في كتاباتهم عملا صالحا، وآخر سيّئًا>>[2]، أمّا (محمد لقمان السلفي) فرأيه في (أحمد أمين) ومابّثه في كتابه المذكور، فيقول: << فإنّه أيضا نقل شبهات المستشرقين، ولكنّه كان لبقا وأشدّ تحرُّزا حيث بثَّ السموم في أسلوب هادئ وحاول أن يصل إلى غايته من غير أن يثير الأمّة الإسلاميّة ضدّه>>[3].

لكنّ (مصطفى السباعي) يأتي بدليل واضح وعلى لسان (أحمد أمين) يبيّن فيه نيّته وبوضوح، والذي نقله إليه (علي حسن)، يقول(السباعي):<< ولما ثار النّقاش في الأزهر حول الإمام الزهري عام 1360هـ قال الأستاذ أحمد أمين للدكتور علي حسن عبد القادر وهوالذي أثيرت الضجة حوله:<<إنّ الأزهر لا يقبل الآراء العلميّة الحرّة، فَخيرُ طريقة لبثّ ماتراه مناسبا من أقوال المستشرقين ألّا تنسبها إليهم بصراحة، ولكن إدفعها إلى الأزهريّين

[1]– ينظر، مصطفى السباعي،السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص301.

[2]– محمد بن محمد أبوشهبة، مرجع سابق، ص376.

[3]– محمد لقمان السَّلفي، مرجع سابق، ص299.

على أنّها منك، وألبسها ثوبا رقيقا لا يزعجهم مسها، كما فعلت أنا في«فجر الإسلام» و«ضحى الإسلام» »[1].

وهذا لا يدلّ إلّا على انسياق هذه الفئة من المسلمين والشرقيّين وراء شبهات المستشرقين وانقيادهم خلفهم وتركهم للمصادر الأساسيّة لفهم الإسلام، فشكّكوا في إجماع الأمّة، وصحابتها وعلمائها منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرنا، وإنّ اتّباع الدليل للوصول للحقيقة ليُجليها مهما اختفت، ولكنّ اتّباع الشبهات وزرع بذور الشكّ في العقيدة يفضي لفساد دين صاحبه، فلا ينفع نفسه ولا غيره ببحوثّه ودراساته.

[1]– مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص266.

الخاتمة

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث، يمكن استخلاص النتائج الآتية:

– الاستشراق دراسات غربية لكل ما يخصُّ عالم الشرق، من لغة ودين وحضارة ومجالات فكريّة متعددة.

– اختلف الباحثون في بداية ظهور الاستشراق لكن يرجّح أنّ بدايته الأكاديميّة كانت عام 1312م.

–دوافع كثيرة ومختلفة هي التي أدّت لظهور الاستشراق واستمراريته.

– اهتمّ المستشرقون بدراسة اللغة العربية، كما اهتمّوا خاصّة بدراسة اللّهجات العاميّة لها وحاولوا النهوض بها لتكون لغة الكتابة كما هي لغة الحديث.

– نقد المستشرقون الخط والحروف العربية باعتبارها أصعب من أن تُقرأ، وحاولوا استبدالها بالحروف اللاتينية.

– كما حاول الاستعمار بالاستعانة بالمستشرقين إثارة وإحياء القوميات العربية، إضافة إلى تصنيف الأدب العربي إلى قوميات متفرّقة.

– رغم وجود من ردّد شعارات المستشرقين من العرب والشرقيّين حول اللغة العربية وحروفها إلا أنّ هذه الحملات وجدت من يتصدى لها في مهدها.

– تعرّض الشعر الجاهلي للتشكيك من مستشرقين ومستغربين، وتم إغاثة صحته وفرز حقيقه من زيفه بجهود القدماء الذين أحيا نقدهم من غار على التراث الجاهلي لأدبائنا المحدثين.

– تعرّض المستشرقون كثيرا للطعن في النصّ القرآني والتشكيك في مصدره وفي صحة نصّه، كما اعتبروه مجرد اقتباسات للأديان التي قبله.

– بالرغم من الجهد الذي بذله الفكر الاستشراقي في الطعن في التراث العربي، إلاّ أنّه يُحسب للمستشرقين تحقيقهم للمخطوطات العربيّة والحفاظ عليها.

– كما حاول هؤلاء نقد السنّة والسيرة النبويّة وفق معايير خاصة بهم، لكنّهم وجدوا من العلماء المسلمين من استطاع الردّ على كلامهم بمعايير أقرب للعلميّة ودلائل لا ترقى إليها الظنون.

– لكنّ كلّ هذه المحاولات الاستشراقية غير الموضوعيّة لا تنفي وجود فئات من المستشرقين كانوا أقرب للإنصاف بل الإعجاب بمعالم الشرق.

– ومن جهة أخرى كان المستغربون أحيانا أشدّ خطرا على مقوّمات الأمّة العربيّة والإسلاميّة من المستشرقين والمستعمرين أنفسهم .

– بالرغم من كثرة الردود الشرقيّة على المستشرقين إلّا أنّ أغلبها خانه المنهج والعمق وبلاغة الحجة.

– تُعّد الدراسات العربية الحديثة الأكثر عمقا وجدوى في تفكيك الاستشراق.

قائمة

المصادر

والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

المعاجم

1- لويس معلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، دط، 2009.

2- مجمع الغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية،، مصر، ط 4، 2008.

3- ابن منظور(محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين) ، لسان العرب، المجلد العاشر، أدب الحوزة، إيران، 1984.

4- أبو الحسن علي بن الحسن الهُناني، المُنجَّد في اللغة، تحقيق أحمد مختار عمر ووضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 1988.

قائمة المصادر

5- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ، الحيوان. ج1، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دب، ط2، 1965.

6- حسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيّسابوري، صحيح مسلم، الجزء الأول، دار الحديث مصر، ط1، 1991.

7- الزركشي(بدر الدين محمد عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق، أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط، 2006.

8- ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبد الله)، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دس.

9- (ابن كثير) أبو الفداء الحافظ الدمشقي، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، د ط، 1992.

10- محمد بن سلاّم الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، دط، 2001.

11- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، عيسى الحلبي وشركاه، ط3، د ب، د س.

قائمة المراجع

12- أحمد أمين، فجر الإسلام، هنداوي، القاهرة، مصر، دط، 2012.

13- أحمد حسين الزيّات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط2، د س.

14- أحمد عبد العزيز الحصين، الحكمة والبراهين في تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلّم، دار القسم، الرياض، السعودية، ط1، 1996.

15- أحمد سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ط، 1996.

16- أحمد نعمان، مستقبل اللغة العربية بين محاربة الأعداء وإرادة السماء، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2008.

17- إسماعيل علي محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل<< مدخل علمي لدراسة الاستشراق>>، الكلمة، المنصورة، مصر، ط3، 2000.

18- أشرف فوزي العشي، دليل الإتقان في تلاوة القرآن، دار القرآن الكريم والسنة، غزة، فلسطين، دط، 2018،

19- أكرم بلعمري، القراءة الاستشراقية للنص النبوي، الدكتور محمد بن شنب والاستشراق، شيكو للطباعة والنشر، المدية، الجزائر، 2015.

20- أنور الجندي، المساجلات والمعارك الأدبيّة في مجال الفكر والتاريخ والحضارة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2008.

21- أنور جندي، تاريخ الغزو الفكري والتعريب خلال مرحلة مابين الحربين العالميتين 1940/1920، دار العلوم، القاهرة، مصر، 1988.

22- تهامي نقرة، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، الجزء الأول، مطبعة المنظمة العلمية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دط، دس.

23- توفيق مزاري عبد الصمد، الدكتور محمد بن شنب، الاستشراق، شيكو، المدية، الجزائر، 2015.

24- جرجي زيدان، اللغة العربيّة كائن حي،هنداوي، القاهرة، مصر، دط ، 2012.

25- حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية، القاهرة، مصر، دط، 1991.

26- خلدون ساطع الحصري، في اللغة والأدب وعلاقتهما بالقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1985.

27- ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراق، الجزء الأول، المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، دس.

28- سامي عامري، هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصاري؟، مبادرة البحث العلمي لمقارنة الأديان، د ب، د ط، 2010.

29- سلامة موسى، اليوم والغد، هنداوي، وندسور، المملكة المتحدة، د ط، 2017.

30- سيد قطب، في ضلال القرآن، المجلد الخامس، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط32، 2003، ص2869.

31- شعبان محمد إسماعيل، المدخل إلى علم القراءات، مكتبة سالم، مكة المكرمة، ط2، 2003.

32- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط24، 2003.

33- صديق بشير نصر، التعليقات النقدية على كتاب دراسات محمدية، مركز العالم الإسلامي لدراسة الاستشراق، لندن، ط2، 2009.

34- طه حسين، في الشعر الجاهلي، تقديم، سامح كريّم، الدار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة، مصر، 2010.

35- طه حسين، في الشعر الجاهلي، دار المعارف، سوسة، تونس، ط2، 1998.

36- عباس محمود العقاد، الشيوعيّة والإنسانية في شريعة الإسلام، هنداوي، هاي ستريت، المملكة المتحدة، دط، 2017.

37- عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، نهضة مصر، الجيزة، مصر، ط4، 2005.

38- عبد الجبار ناجي، الاستشراق في التأريخ الإشكاليات- الدوافع- التوجهات- الاهتمامات، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

39- عبد الرحمان بدوي، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، من تاريخ ونقد الشعر الغربي القديم، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979.

40- عبد الرحمان رأفت باشا، العداون على العربية عدوان على الإسلام، دار الأدب الإسلامي، دب، ط1، 1996.

41- عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، نهضة مصر، الجيزة، مصر، ط3، 2007.

42- عبد العزيز فهمي، الحروف اللاتينية لكتابة العربية، مطبعة مصر، القاهرة، مصر، د ط، 1944.

43- عبد الفتاح إسماعيل شلبي، رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءة القرآن الكريم دوافعها ودفعها، دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1983.

44- عرفان عبد المجيد، المستشرقون والإسلام، مطبعة الإرشاد، بغداد، العراق، دط، 1969.

45- علي حسني الخربوطلي، المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة، مصر، د ط، 1982.

46- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط3، 2004.

47- العيد معروفي، الاشراق والاستعمار ودراسات فيما بعد الكولونيالية، رؤية، القاهرة، ، ط1، ،2005.

48- فاروق عمر فوزي، الاستشراق و التاريخ الإسلامي (القرون الإسلاميّة الأولى)، الأهلية، عمان، الأردن، ط1، 1998.

49- لخضر شايب، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراق المعاصر، مكتبة العبيكية، باتنة، الجزائر، دط1، 2001.

50- مالك بن نبي، انتاج المستشرقون وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، ط1، 1969.

51- محمد إبراهيم الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، دار الفكر العربي، مصر، دط، 1993.

52- محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، نهضة مصر، مصر، ط7، 2005.

53- محمد الغزالي، فقه السيرة، دار الكتب الحديثة، ط6، دب، 1965.

54- محمد بن إبراهيم، <<جولدتسيهر>> والقرآن الكريم، لاستشراق الاستعمار والامبرياليّة دراسات فيما بعد الكولونياليّة، رؤية، القاهرة، مصر، ط1، 2008.

55- محمد بن محمد أبو شهبة، دفاع عن السنّة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين وبيان الشبه الواردة على السنّة قديما وحديثا وردّها ردّا علميّا صحيحا، مكتبة السنّة، القاهره، مصر، دط، 1989، ص11.

56- محمد حسن حسن جبل، الرد على المسشرق اليهودي جولدتسيهر،في مطاعنه على القراءات القرآنية، جامعة الأزهر، طنطا، مصر، ط2، 2002.

57- محمد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، دار البشير للثقافة والعلوم، مصر، ط1، 2016.

58- محمد فاروق النبهان، الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، المملكة المغربية، دط، ، 2012.

59- محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، دار قتيبة، طرابلس، ليبيا، ط1، 1998.

60- محمد لقمان السّلفي، مكانة السنة في التشريع الإسلامي والمنكرين الملحدين، دار الداي، الرياض، السعودية، ط 2، 1999،

61- محمد مصطفى الأعظمي، المستشرق شاخت والسنة النبوية، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية، ج1، تونس، دط، 1985.

62- محمد مصطفى هدارة، المستشرق شاخت والسنة النبوية، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية، ج1، تونس، دط، 1985.

63- محمود أبو رية، أضواء على السنه المحمدية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 6، 1994،

64- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1997.

65- محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب سلاّم، دار المدني، جدة، دط، دس،

66- مشتاق بشير الغزالي، القرآن الكريم في دراسات المستشرقين، دار النفائس، دمشق، سوريا، ط1، 2008.

67- مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وماعليهم، دار الوراق، المكتب الإسلامي، د ط ، دس.

68- مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، دار الوراق، القاهرة، مصر، ط2، 1949.

69- مصطفى ديب بغا ومحي الدين متو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيّب، دار العلوم الإنسانية، دمشق، سوريا، ط2، 1998.

70- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ وآداب العرب، هنداوي، القاهرة، مصر، دط، 2012.

71- مصطفى صادق الرافعي، تحت راية القرآن المعركة بين القديم والجديد، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، د ط، 2002.

72- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلية وقيمتها التاريخية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، 1978.

73- نفوسه زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، مصر، ط1، 1994.

74- يحي وهيب الجبوري، المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

الكتب المترجمة

75- أحمد ديدات، القرآن معجزة المعجزات، تر، علي عثمان المختار الإسلامي، د ب، دط، دس.

76- إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عن رؤية، القاهرة، مصر، ط1، 2006.

77- إيجناس جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، تر محمد يوسف موسى وآخرون، تقديم، محمد عوفي عبد الرؤوف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، د ط،2013.

78- إيجناس جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، تر، عبد الحليم النجار، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، دط، 1955.

79- إيميل درمنغهم، الشخصية المحمدية، السيرة والمسيرة، تر، عادل زعيتر، الشعاع، 2005.

80- بلاشير، القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره، تر، رضا سعادة، دار الكتاب البناني، بيروت، لبنان، دو ط1، 1974.

81- تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، تر، جورج تامر و آخرون، تعديل، فريد يزيش شفالي، الجزء الأول، مؤسسة كونراد – أدناور، بيروت، لبنان، ط4، 2004.

82- جوزيف شاخت، مدخل الى الفقه الاسلامي، تر، حمادي ذويب، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، ص 15.

83- ديفيد صمويل مرجليوث، أصول الشعر العربي، تر، إبراهيم عوض، دار الفردوس، د ب، د ط، 2006.

84- ر. ف. بودلي، الرسول حياة محمد، تر، محمد محمد فرج وعبد الحميد جوده السّحار، مكتبة مصر، دط، 1989.

85- رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، تر: مصطفى ماهر،المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، د ط، 2011.

86- زكاري لوكمان، تاريخ الاستشراق وسلبياته، الصداع على تفسير الشرق الأوسط، تر: شريف يونس، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2007.

87- سيجريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب<< دراسات الحضارة العربية في أوربا>>، تر: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط8، 1993.

88- كارل بركلمان، تاريخ الأدب العربي، ج2، تر، عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة ، مصر، ط5، دس.

89- كارل بركلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية ، تر، نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1968.

90- محمد حسن زماني، الاستشراق و الدراسات الإسلامية لدى الغربيين، تر، محمد نصر الدين عبد المنعم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2010.

91- محمد عبد الله دراز، مدخل على القرآن الكريم، تر، محمّد عبد العظيم علي، دار القلم والكويت، دط، 1984.

92- مراد ويلفريد هوفمان، يوميات ألماني مسلمات، تر، عباس رشيد العماري، مركز الأهرام، القاهرة، مصر، ط1، 1993.

93- مونتجري وات، محمد في المدينة، تر، شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، دس.

94- هوبرت هيركومر، صورة الإسلام، في التراث الغربي، تر، ثابت عيد، تقديم، محمد عمارة، نهضة مصر، القاهرة ، مصر، دط، 1999.

95- يوهان فوك، العربية – دراسات في اللغة و اللهجات و الأساليب، تر: عبد الحليم النجار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، د ط، 2014.

96- يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، تر: عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2008.

المجلات

97- رشدي ضيف، عمر عيلان، مكانة الشعر الجاهلي عند بعض المستشرقين، مجلة إشكالات في اللغة والآدب، مجلد 9، عدد 4، تبسة، الجزائر، 2020.

98- شاكر عالم الشرق، الاستشراق أخطر تحد للإسلام، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، المجلد الثالث، ديسمبر 2006.

99- نجلاء أحمد محمد المالكي، قضية الإنتحال في الشعر الجاهلي، الآداب والعلوم الإنسانية، اللغة العربية وآدابها، المملكة العربية السعودية، 2019.

المذكرات الجامعية

100- فاطمة فاتح، الشعر الجاهلي في ميزان الاستشراق الألماني- دراسات تحليلية نقدية- أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي البابس، كليى الآداب واللغات والفنون، سيدي بلبعاس، الجزائر، 2016.

101- محمد إبراهيم محمد نور عبد الطيف خليفة آراء المستشرق جوزيف شاخت حول حجية السنة النبوية من خلال كتابه أصول الشريعة المحمدية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، قسم الاستشراق، شهادة ماجيستير، 1997.

فهرس
المحتويات

فهرس المحتويات

العنـــوان	الصفحة
إهداء	
مقدمة	**1**
مدخل	
1-الاستشراق مفهوم ودلالة	**08**
1-1- لغة	**08**
1-2- المعنى العلمي للاستشراق	**08**
1-2-1 تعريف الاستشراق عند علماء الغرب	**09**
1-2-2 تعريف الاستشراق عند علماء العرب	**09**
2- المستشرق الصفة والوظيفة	**10**
3_ الاستغراب	**11**
3-1- الاستغراب في اللغة	**11**
3-2- المعنى العلمي للاستغراب	**12**
4- الاستعراب	**13**
4-1- لغة	**13**
4-2-المعنى العلمي	**13**
5- الاستشراق جدل النشأة	14
6- حدود العالم الشرقي	18
7- دوافع الاستشراق بين طلب المعرفة والتوظيف السياسي	**23**
7-1- الدافع الديني التبشيري	**23**
7-2- الدافع التجاريّ	24
7-3- الدافع الاستعماري	25
7-4- الدافع العلمي	26
الفصل الأول: محور اللغة والأدب العربي	**30**
1- أصل العرب	**30**
2- نشأة اللغة العربية	**31**

2-1- العربية البائدة	31
2-2- العربية الباقية	**31**
3- محاولات المستشرقين للقضاء على اللغة العربية	**32**
3-1- الدعوة إلى إحلال اللهجات العاميّة بدل الفصحى	**32**
3-2- الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينيّة	**40**
3- 3- الدعوة إلى إحياء القوميات العربية والأدب القومي	**45**
ثانيا: الشعر الجاهلي في ميزان المستشرقين	**49**
1- تحديد فترة العصر الجاهلي	**49**
2- موقف المستشرقين من الشعر الجاهلي	**50**
2-1- موقف تيودور (نولدكه)	**50**
2-1-1 قضية الرواة في الشعر الجاهلي	**50**
2-1-2- مكانة الدين في الشعر الجاهلي	**50**
2-1-3- قضية تدوينه ودور الخط العربي في ذلك	**51**
2-2- موقف المستشرق ديفيد صمويل مرجليوث	**51**
2-2-1- قضية الرواة	**52**
2-2-2- مسألة الدين في الشعر الجاهلي	**52**
2-2-3- مسألة وحدة اللغة في الشعر الجاهلي	**52**
2-2-4- قضية تدوين الشعر الجاهلي	**53**
3- رد الفعل العربيّ على قضية التشكيك في الشعر الجاهلي	**54**
3-1-الرد على مسألة التشكيك في الرواة	**54**
3-2- الرّد على مسألة مكانة الدين الوثني في الشعر الجاهلي	**55**
3-3- الرد على قضية وحدة اللغة الشعر الجاهلي	**56**
3-4- الرد على قضية تدوين الشعر الجاهلي	**57**
4- موقف طه حسين من الشعر الجاهلي	**59**

5- تحليل محمد محمود شاكر لقضية فساد الشعر عن ابن سلاَّم	**62**
6- موقف جيمس تشارلز ليال	**64**
الفصل الثاني: محور العقيدة الإسلامية القرآن	**66**
أولا التشكيك في مصدر القرآن	**69**
1- القرآن اقتباسات من الديانات السابقة	**70**
1-1- التشابه في الأحكام والشرائع	**70**
1- 2- التشابه في القصص	**75**
1-3 قضية الراهب بحيرى	**76**
2_القرآن عبارة عن اقتباسات من التراث الأدبي	**79**
2-1- القرآن اقتباسات من شعر أميّة بن الصّلت	**79**
2_2_القرآن اقتباسات من شعر امرئ القيس	**81**
ثانيا: التشكيك في ثبوتية النص القرآني	**83**
1- قضية جمع وتدوين القرآن عند المستشرقين	**83**
2- شبهة اضطراب النّص القرآني	**83**
2-1- القراءات القرآنية عند المستشرقين	**87**
2-2- قضية الخط العربي	**91**
2-3- قضية جواز قراءة القرآن بالمعنى	**97**
الفصل الثالث: محور السيرة والسنّة النبويّة	**99**
أولا: المستشرقون والسيرة النبوية	**102**
1- بدايات تشكيل صورة محمد عند الغرب	**102**
2- تفسير المستشرقين لظاهرة الوحي	**104**
3- المستشرقون وقضية تعدد الزوجات في الإسلام	**105**
4- قضية تعدد زوجات الرسول عند المستشرقين	**107**
5_ زواج النبي صلى الله عليه وسلّم من زينب بنت جحش عند المستشرقين	**112**

ثانيا: المستشرقون والسنّة النبويّة	**115**
1- التعريف بالسنة النبوية	**117**
1-1- لغة	**117**
1-2- اصطلاحا	**117**
2- منزلة السنّة من الدّين	**117**
3- قضايا المستشرقين في تناول السنّة	**117**
3-1- قضية التشكّيك في السند	**117**
3_2_نظرية نقد الحديث عند المسلمين	**121**
3-3- الاختلاف في الحديث	**124**
3-4- المستشرق شاخت والشريعة الإسلاميّة	**125**
4- السنة عند تلاميذ المستشرقين من المسلمين	**130**
4-1- محمود أبو رية ونقده لأبي هريرة	**131**
4-2-أحمد أمين وقضية وضع الأحاديث ونقد السند والمتن فيها	**133**
الخاتمة	**136**
قائمة المصادر والمراجع	**139**
فهرس المحتويات	**15**

ملخص البحث

اهتم المستشرقون بدراسة الشرق وحضاراته وأديانه، وأولوا اهتماما بالغا بما يخص العالم العربي والإسلامي، وكوّنوا عدة دراسات في هذا الشأن، وهذا ما أدى لردود فعل شرقيّة علمية حول ماتطرقوا إليه، وهذا ماحاولنا دراسة بعض جوانبه، فكان بحثنا يتضمن مدخلا لضبط المفاهيم والفصل الأول: محور اللغة والأدب العربي، والفصل الثاني:محور العقيدة الإسلامية القرآن، والفصل الثالث:محور السيرة والسنة النبوية. الكلمات المفتاحية: العربية، قرآن، سنة.

Research Summary

Orientalists were interested in studying the Orient, its civilizations and religions, and they paid great attention to what concerns the Arab and Islamic world, and formed several studies in this regard. Arabic language and literature, and the second chapter: the axis of the Islamic faith, the Qur’an, and the third chapter: the axis of biography and the Prophet’s Sunnah. Keywords: Arabic, Quran, Sunnah.